

الأزهر الشريف
قطاع المعاهد الأزهرية

تيسير فتح المبدي

بشرح

مختصر الزبيدي

للشيخ: عبد الله بن حجازي الشرقاوي
المتوفى في (١٢٢٧هـ)

للصف الثالث الثانوي

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

١٤٤٢ هـ
٢٠٢٠ - ٢٠٢١م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد للهِ والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذا كتاب (تيسير فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي) في الحديث الشريف المقرر على طلاب الصف الثالث الثانوي الأزهري، وقد قمنا بوضعه إحساسًا منا بحاجة أبنائنا الطلاب إلى كتاب يسهل عليهم استذكار دروسهم، واستحضار معلوماتهم، وفهم الأحاديث وربطها بواقعهم المعاصر.

وقد راعينا في تأليفه الأسلوب السهل، والعبارة الواضحة، وسلكنا في هذا المنهج الآتي:

١ـ وضع عناوين مناسبة تُبيِّن مقاصد الحديث.

٢ـ شرح معاني الكلمات الغريبة الواردة في الحديث.

٣ـ بيان بعض الوجوه الإعرابية، واللطائف البلاغية الواردة في الحديث.

٤ـ الاهتمام بالمسائل والقضايا التي تناولها الحديث.

٥ـ معرفة بعض ما يرشد إليه الحديث من آداب وأحكام.

٦ـ لم نذكر تخريج الأحاديث نظرًا لورودها في صحيح البخاري.

٧ـ الأحاديث التي وجدت أثناء الشرح قمنا بتخريجها.



ونحن نسجل اغتباطنا بهذا التيسير، ليكون لبنة صالحة في بناء أبنائنا الطلاب؛ ليكونوا نافعين لأنفسهم ومجتمعهم وأمتهم ووطنهم .

واللَّه من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل

إعداد لجنة إعداد وتطوير المناهج

بالأزهر الشريف

❊ ❊ ❊

أهداف الدراسة

بنهاية دراسة مادة الحديث يُتَوَقَّع من الطالب أن:

١ـ يدرك معاني الأحاديث المتعلقة بالشهادتين، وأخوة الإسلام، وحرمة دم المسلم، والصلاة، والصوم، والبِرِّ، والصِّلة، والآداب، وفضائل القرآن، والذِّكْر، وصفة الجنة، وحسن الظن بالله ـ تعالى ـ، وغير ذلك.

٢ـ يعرف معاني المفردات الغامضة.

٣ـ يقف على شرح وبيان الأحاديث المقررة.

٤ـ يقف على أوجه الإعراب الواردة في الأحاديث.

٥ـ يتذوق الأسرار البلاغية الواردة في الأحاديث.

٦ـ يستنبط الدروس المستفادة من الأحاديث.

❊ ❊ ❊

الحديث الأول
أيُّ الإِسْلام خَيرٌ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أيُّ الإِسْلامِ خَيرٌ؟ فَقَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

معاني المفردات:

«أَنَّ رَجُلًا»: قيل: هو أبو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقيل: هو هانئ بن يزيد والدُ شريح.

«أيُّ الإِسْلامِ خَيرٌ؟»: يعني: أَيُّ خِصَالِ الإسلام، أو أيُّ أعمالِ الإسلام.

المباحث العربية:

«تُطْعِمُ»: بالرفع وهو في تقدير «أَنْ تُطعِمَ»، ثم حذفت «أَنْ» فصار الفعل مرفوعًا، وأَنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر، أي: «إِطْعَام»، والمصدر في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي: هو إطعام الطعام.

والمفعول الثاني محذوف للتعميم، والتقدير: أن تطعم الخَلْقَ الطَّعَامَ، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، وغير آدميين، فرضًا كان الإطعام كالكفارة أو النذر، أو سنة كالعقيقة.

«وَتَقْرأُ» بفتح التاء وضمِّ الهمزة مضارع «قَرَأَ».

«السَّلامَ»: بالنصب مفعول «تَقْرأ».

«عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»: متعلق بـ «تَقْرأ»، وحذف العائد في الموضعين للعلم به، أي: على من عرفته، ومن لم تعرفه من المسلمين، وإن علمت أنه لا يَرُدّ.



الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ الفرق بين الفضل، والخير.

٢ـ سبب اختلاف الجواب على السؤال الواحد.

٣ـ سر التعبير بقوله «تطعم» وقوله «وتقرأ».

٤ـ سبب تخصيص النبي ﷺ لهاتين الخصلتين.

٥ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ الفرق بين الفضل، والخير:

- جاء في حديثٍ آخرَ عند البخاريّ: «قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ»، والفرق بين «خَير» وبين «أَفْضَل»، أنَّ الفضل بمعنى كثرة الثواب، في مقابلة القلة، والخيرَ: بمعنى النفع، في مقابلة الشر، والأول من الكمية، والثاني من الكيفية.

٢ـ سبب اختلاف الجواب على السؤال الواحد:

وبهذا يُجَاب على من قال: السؤالان بمعنى واحد، والجواب مختلف.

وحاصل الجواب: أنَّه اختلف لاختلاف السؤال عن الأفضلية، والخيرية.

أو يقال: اختلف لاختلاف حال السَّائلين، أو السَّامعين.

فيُمْكِن أن يُرَاد في الأول: تحذير من خشي منه الإيذاء بيد أو لسان فأرشد إلى الكف عن ذلك. والثاني: ترغيب من يُرْجَى منه النفع العام بالفعل والقول فأرشد إلى ذلك.



٣ـ سر التعبير بقوله تطعم وقوله وتقرأ:

ـ لم يقل النبيُّ ﷺ «تُؤْكِل الطَّعَام» ونحوه؛ لأنَّ لفظ الإطعام عام يتناول الأكل، والشرب، والتذوق، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾[1]، أي: يذقه، وبعمومه يتناول الضيافة، وسائر الولائم، وإطعام الفقراء وغيرهم.

ـ ولم يقل ﷺ «وَتُسَلِّم» مكان «وَتَقْرأ» لأجل أن يتناول سلام من أرسل خطابًا إلى أحد يُسلِّم فيه عليه وعلى غيره.

٤ـ سبب تخصيص النبي ﷺ لهاتين الخصلتين:

ـ وخَصَّ ﷺ هاتين الخصلتين بالذكر:

١ـ لما فيهما من الجمع بين المكارم المالية كالطعام، والأخلاقية كالسلام.

٢ـ لشدة الحاجة للطعام في ذلك الوقت؛ لما كانوا فيه من الجَهْدِ، وقلة ذات اليد، وللسلام لما كان يسود بينهم من الفرقة والخصام.

٣ـ لمصلحة التأليف بين القلوب، ويدل على ذلك أن النبيَّ ﷺ حثَّ عليهما أوَّلَ ما دخل المدينة كما جاء في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَام رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ، وَكَانَ أَوَّل شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

٥ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبى ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ فضل إطعام الطعام في الإِسلام، وكونه من أفضل الأعمال.

---

(١) سورة البقرة. الآية: ٢٤٩.



٣ـ الحض على ائتلاف القلوب واستجلاب مودتها.

٤ـ فضل إفشاء السلام.

٥ـ الحث على خفض الجناح للمسلمين والتواضع.

* * *

الأسئلة

س١ : بين المراد بقوله ﷺ: «أيُّ الإِسْلامِ خَيرٌ؟».

س٢ : من الرجل السائل المذكور في الحديث؟

س٣: لم خصَّ إطعام الطعام، وإفشاء السلام بالذكر؟

س٤ : لم اختلف جوابه ﷺ عن الأفضلية، والخيرية؟

س٥ : اشرح الحديث بأسلوبك.

س٦ : اذكر بعض ما يُرشد إليه الحديث.

* * *

الحديث الثاني
حُرْمَةُ المسلم

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا؛ فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ».

معاني المفردات:

«مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا»: أي صَلَّى صلاةً كصلاتنا المعروفة المتضمنة الإقرارَ بالشهادتين.

«قِبْلَتَنَا»: أي القبلة المخصوصة بالمسلمين، وهي الكعبة المشرفة.

«ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ»: أي: أمان اللَّه، ورسوله، أو عهدهما.

«فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ»: أي: لا تخونوا اللَّه، ولا رسوله بتضييع حقِّ المسلم الموصوف.

المباحث العربية:

«مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا»: ذِكْرُ استقبال القبلة بعد الصلاة من ذكر الخاصِّ بعد العام؛ تعظيمًا واهتمامًا بشأنه.

ويحتمل أنه عَطَفَ «وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا» مع «وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا» على الصلاة؛ وذلك لأنَّ اليهود لما تحولت القبلة شككوا بقولهم: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾[1] وهم الذين يمتنعون من أكل ذبيحتنا. والمعنى: من صلى صلاتنا، ولم يُنَازِع في أمر القبلة، ولم يمتنع من أكل ذبيحتنا كما فعلوا.

---

(١) سورة البقرة. الآية: ١٤٢.



«فَذَلِكَ»: مبتدأ، وخبره «المُسْلِمُ».

«ذِمَّةُ اللَّهِ»: مبتدأ مُؤَخَّر و«لَهُ» خبر مُقَدَّم.

«ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ»: ذكر ذمة رسوله بعد ذكر ذمة اللَّه؛ للتأكيد؛ وإشعارًا بأنَّ كلًّا منهما مقصودٌ.

«فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ»: يقال: خَفَرَ بمعنى: حَمَى، وحفظ، وَأَخْفَرَ بمعنى: غَدَرَ، ونَقَضَ، فالهمزة فيه للسلب، مثل: أَشْكَيْتُ الرجل، إذا أزلت شكواه.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ إقامة الصلاة، واستقبال القبلة، وأكل ذبائح المسلمين من شعائر الإسلام.

٢ـ آراء العلماء في استقبال القبلة.

٣ـ سبب الاكتفاء بقوله «ذمة اللَّه» دون رسوله.

٤ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ إقامة الصلاة، واستقبال القبلة، وأكل ذبائح المسلمين من شعائر الإسلام:

ـ يُبَيِّنُ الحديث أنَّ الذي يظهر منه شعار أهل الإسلام المتمثل في إقامة الصلاة، واستقبال القبلة، وأكل ذبيحة المسلمين فهو مسلم له أمانُ اللَّه وعهدُهُ، ولا تُسْتَبَاحُ حُرْمَتُهُ، فلا تنقضوا عهدَ اللَّه فيه، وليس لأحدٍ أن يحكم عليه بالكفر المُخْرِجِ من المِلَّةِ، إلّا بدليلٍ قاطعٍ.

٢ـ آراء العلماء في استقبال القبلة:

ـ استنبط العلماءُ من هذا الحديث اشتراطَ استقبالِ القبلةِ، والواجبُ عند الشافعيّ استقبالُ عَيْنِها للقادر عليه يقينًا في القُرْبِ، وظنًّا في البُعْدِ بالصدر،



وبالوجه أيضًا إلا في شدة الخوف، وفي النافلة في السفر، وأما العاجزُ عن استقبالها كالمريض الذي لا يجد من يوجهه إلى القبلة، أو المحبوس بعذر، فيصلي على حسب حاله ويعيد، والواجب عند عامة الحنفية في البعد استقبال الجهة لا العين.

الواجب عند الجمهور استقبال الجهة لا العين لحديث أبي هريرة رضي الله عنه «ما بين المشرق والمغرب قبلة»[1].

٣ـ سبب الاكتفاء بقوله «ذمة اللَّه» دون رسوله:

ـ لم يذكر النبي ﷺ كلمة: «وَرَسُوله» بعد قوله: «فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ»؛ لاستلزام عدمِ إخفار ذمةِ اللَّه عدمَ إخفارِ ذمةِ رسولهِ ﷺ.

٤ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبى ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ أنّ أمور الناس محمولة على الظاهر، واللَّه يتولى السرائر.

٣ـ أنّ الصلاة، واستقبال القبلة، والأكل من ذبائح المسلمين من شعائر الإسلام.

٤ـ استقبال القبلة شرط من شروط صحة الصلاة.

* * *

(١) أخرجه الترمذى فى جامعه (٣٤٤) وقال عقبة: هذا حديث حسن صحيح.



الأسئلة

س١ : بَيِّن معاني الكلمات الآتية:

(ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ـ فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ).

س٢: ما إعراب قوله ﷺ: «فَذَلِكَ المُسْلِمُ» ـ «لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ»؟.

س٣: ما سر ذكر ذِمَّة الرَسُولِ بعد ذِمَّة اللَّهِ عز وجل؟

س٤ : اشرح الحديث بأسلوبك شرحًا أدبيًّا موجزًا.

س٥: اذكر أهم ما يُرشد إليه الحديث.

* * *



الحديث الثالث
حرمة تقاتل المسلمين

عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ﵁ قَالَ: ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هذا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ ﵁ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: ارْجِعْ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا التقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ».

التعريف براوي الحديث

الْأَحْنَف بن قيس بن مُعَاوِيَة التَّمِيمِي، السَّعْدِيّ، سيد بني تَمِيم، أَبُو بَحر الْبَصْرِيّ، دَعَا لَهُ النَّبِي ﷺ وَلم يره وَكَانَ سيد قومه ، قَالَ الثَّوْرِيّ: مَا وزن عقل الْأَحْنَف بعقل إِلَّا وَزنه ، توفّي سنة سبع وَسِتِّينَ بِالْكُوفَةِ.

معاني المفردات:

«ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ»: يقصد بالرجل عَلِيَّ بنَ أبي طالبٍ ﵁.

«إِذَا التقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا»: فضرب كل واحد منهما الآخر.

«فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ»: أي: يستحقان دخولها.

«يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا القَاتِلُ»: يستحق النار؛ لكونه ظالمًا.

«فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟»: وهو مظلوم.

«إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»: أي: كانَ عازمًا على ذلك.



المباحث العربية:

«إِذا التقى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا»: جواب «إِذا» محذوف لم يذكره اكتفاء بما ذكر في الحديث، وتقدير جواب «إذا»: «فقاتل أحدهما الآخر».

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ بيان معنى القاتل والمقتول في النار، وحكم ما شجر بين الصحابة.

٢ـ حكم العزم على المعصية.

٣ـ بيان ما يرشد إليه الحديث.

١ـ بيان معنى القاتل والمقتول في النار، وحكم ما شجر بين الصحابة:

ـ دَلَّ قوله ﷺ: «فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ» على أنهما يستحقان دخول النار، وقد يعفو اللَّه عنهما، كقوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾[1]، وليس بلازم أن يُجَازَى خِلافًا للمعتزلة القائلين: بوجوب عقاب العاصي، وهذا كله في قتال بغير تأويل سائغ، أما قتال الصحابة رضي الله عنهم فلا يترتب عليه ما ذُكِرَ؛ لأنه عن اجتهادٍ، وظنٍ لصلاح الدين؛ فللمصيب منهم أجران، وللمخطئ أجر، فكلهم مجتهد مُثابٌ، واللَّه يغفر لهم.

وفهم أَبُو بَكْرَةَ رضي الله عنه أنَّ الحديث عامٌّ لكل المسلمين حسمًا لمادة الخلاف؛ فمنع أبو بكرة الأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ رضي الله عنه من قتاله مع عَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، لكن الأحنف رضي الله عنه لم يوافقه على ذلك، بل حضر مع عَلِيٍّ رضي الله عنه باقي حروبه.

---

(١) سورة النساء. الآية: ٩٣.

٢ـ حكم العزم على المعصية:

ـ يدلُّ الحديث على أنَّ مَنْ عَزَمَ على المعصية، وَوَطَّنَ نَفْسَهُ عليها أَثِمَ على اعتقاده وعزمه، وإن لم يعملها، فإذا عملها كُتِبَتْ معصية أخرى، ولا يُنَافِيه ما ورد في الحديث الآخر: «إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ»؛ لأن ذلك فيمن لم يُوَطِّن نفسه عليها، بل مَرَّت بفكرِهِ من غير استقرار، ويُسَمَّى ذلك هَمًّا، وَفَرْقٌ بين الهَمِّ، والعَزْمِ على ضوء ما ذُكر في توضيح كل منهما.

ـ وأجَابَ مَنْ لم يَقُل بالمـُؤَاخَذَةِ بالعَزْمِ، وإن لم يقع الفعل، بأنَّ في هذا فِعْلًا؛ وهو المواجهة بالسلاح، ووقوع القتال، ولا يلزم من كون القاتل، والمقتول في النار أن يكونا في مرتبة واحدة؛ فالقاتل يُعَذَّب على القتال، والقتل، والمقتول يُعَذَّب على القتال فقط فلم يقع التعذيب على العزم المجرد.

٣ـ ما يُرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ نصيحة المسلم لأخيه المسلم فيما يعتقد أنه صواب.

٣ـ حرمة تقاتل المسلمين بعضهم مع بعض بغير تأويل سائغ.

٤ـ قتال الصحابة رضي الله عنهم بعضهم بعضًا كان عن اجتهادٍ، وظنٍ لصلاح الدين.

٥ـ العقاب على من عزم على المعصية بقلبه، ووطَّن نفسه عليها.

***

الأسئلة

س١ : وضح معاني العبارات الآتية:

(إِذَا التَقَى الـمُـسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا ـ فَالقَاتِلُ وَالـمَقْتُولُ فِي النَّارِ ـ إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ).

س٢ : هل ينسحب الحديث على قتال الصحابة رضي الله عنهم فيما بينهم.

س٣: بِمَ أجَابَ مَنْ لم يَقُل بالمـُؤَاخَذَةِ بالعَزْمِ، وإن لم يقع الفعل؟

س٤ : اشرح الحديث بأسلوبك.

س٥ : اذكر بعض ما يرشد إليه الحديث.

* * *



الحديث الرابع

تحريم قتال المسلمين، والتشديد فيه

عَنْ عَبْدِ اللَّه بنِ عُمَرَ ﵄ عَنْ النَّبِي ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ فَلَيْسَ مِنَّا».

معاني المفردات:

«مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ»: أي: قاتلنا. وقوله «عَلَيْنَا»: يُخْرِج ما إذا حمله للحراسة؛ لأنه يحمله لهم لا عليهم.

«فَلَيْسَ مِنَّا»: أي: ليس مُتَّبِعًا طريقتنا، أو ليس من المسلمين إن استباح ذلك.

المباحث العربية:

«مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ»: التعبير بالحمل: كناية عن المقاتلة، أو القتل؛ للملازمة الغالبة.

«فَلَيْسَ مِنَّا»: أطلق ذلك اللفظ دون تقييده باستحلال ذلك، مع احتمال إرادة أنَّه ليس على المِـلَّة؛ للمبالغة في الزجر والتخويف.

الشرح والبيان:

ويشتمل على:

١ـ بيان معنى قوله «ليس منا» ونظائرها، وحرمة حمل السلاح على المؤمن.



يوضح النبيُّ ﷺ في هذا الحديث أنَّه ليس من المسلمين، مَن استحلَّ قتالهم، وقتلهم، أو ليس مُتَّبِعًا طريقتهم كلُّ من يحمل السلاح عليهم؛ لقتالهم به بغير حق؛ لما في ذلك من تخويفهم، وإدخال الرعب عليهم؛ ولأنَّ مِنْ حقِّ المسلم على المسلم أنْ يَنْصُرَهُ، ويُقَاتِلَ دونه، لَا أنْ يُرْعِبَهُ بِحَمْلِ السِّلَاحِ عليه؛ لإرادة قتاله، أو قتله. ونظير هذا الحديث: قوله ﷺ: «من غَشَّنا فلَيْسَ منَّا»، وحديث: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ».

٢ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ تحريم قتال المسلمين، والتشديد فيه.

٣ـ من حق المسلم على المسلم أن ينصره، ويقاتل دونه.

٤ـ ليس من المسلمين كلُّ من يحمل السلاح عليهم؛ لقتالهم به بغير حق.

٥ـ النهي عن تخويف المسلمين، وإدخال الرعب على قلوبهم.

***

الأسئلة

١ـ ما المقصود بقوله: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ»؟

٢ـ لم عَبَّرَ بالحَمل في الجملة السابقة؟

٣ـ وما المراد بقوله «فليس منا»؟

٤ـ اشرح الحديث بأسلوبك شرحًا موجزًا.

٥ـ اذكر أهم ما يرشد إليه الحديث.



الحديث الخامس
فضل الشهادتين

عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ».

معاني المفردات:

«وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ»: وفي رواية: «وَابْنُ أَمَتِهِ» - يعني السيدة مريم.

«أَلْقَاهَا»: أي أوصلها إليها.

«وَرُوحٌ مِنْهُ»: أي ذو روح منه صدرت بأمره سبحانه لجبريل ﵇ أن يَنْفُخَ في دِرْعِ مريم فحملت به، أو لأنه كان يُحيي الأموات أو القلوب بإذن اللَّه ـ تعالى ـ.

المباحث العربية

«عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»: جملة حالية من قوله: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ».

الشرح والبيان

ـ ذكر ﷺ في هذا الحديث أنَّ عيسى عليه السلام عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وفي هذا تقرير وبيان لعبوديته ﵇.

وفي قوله ﷺ: «وَرَسُولُهُ» تعريضٌ باليهود في إنكارهم رسالة عيسى ﵇ وانتمائهم إلى ما لا يحل من قذفه، وقذف أمِّه.

ـ أخبر ﷺ عن الجنة والنار بقوله: «حَقٌّ» وهو مصدر، مبالغة في الحقيقة، ومعناه: أن الجنة، والنار هما عين الحق؛ تعريضًا بمنكري دار الثواب، والعقاب.

ـ دلّ قوله ﷺ: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» على أن عصاة أهل القبلة لا يُخَلَّدُونَ في النار؛ لعموم قوله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ»، وأنَّه تعالى يعفو عن السيئات قبل التوبة، واستيفاء العقوبة؛ لأن قوله ﷺ: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» حال من قوله: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ»، ولا ريب أن العمل غير حاصل حينئذٍ، بل الحاصل حال إدخاله استحقاق ما يناسب عمله من الثواب والعقاب.

ـ ولا يُفْهَم من الكلام السابق أنَّه لا يَدْخُلُ أحدٌ من العُصَاةِ النار؛ لأنَّ اللازم منه عموم العفو، وعموم العفو لا يَسْتَلْزِمُ عَدَمَ دخول النار؛ لجواز أن يعفو عن بعضهم بعد الدخول وقبل استيفاء العذاب.

ـ قال الطيِّبيّ: «أَلْ» في «العَمَلِ» للعهد، والإشارة به للكبائر، يدل له نحو قوله ﷺ: «وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ» في حديث أبي ذر رضي الله عنه، وقوله: «عَلَى مَا كَانَ» حال، والمعنى: من شهد أن لا إله إلا اللَّه يدخل الجنة في حال استحقاقه العذاب، بموجب أعماله من الكبائر، أي: حال هذا مخالف للقياس في دخول الجنة، فإنَّ القياس يقتضي أن لا يدخل الجنة مَنْ شَأْنُه هذا كما زعمت المعتزلة، وإلى هذا المعنى ذهب أبو ذر رضي الله عنه في قوله ﷺ: «وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ»، وَرُدَّ بقوله ﷺ: «وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ».

ما يُرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.



٢ـ شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وأنَّ محمدًا رسول اللَّه أول دعائم الإسلام.

٣ـ الإيمان بأنَّ عيسى عليه السلام عبدُ اللَّه، ورسولُهُ، وكلمته.

٤ـ الإيمان بأنَّ الجنة حقٌّ، وأنَّ النار حقٌّ.

٥ـ عظيمُ فضل اللَّه ـ تعالى ـ، وسعة مغفرته، وعفوه.

* * *

الأسئلة

ـ اذكر معاني المفردات الآتية:

(أَلْقَاهَا، وَرُوحٌ مِنْهُ).

١ـ ما إعراب قوله ﷺ: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»؟

٢ـ عَلامَ يَدلُّ قوله ﷺ: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»؟

٣ـ اشرح الحديث بأسلوبك شرحًا موجزًا.

٤ـ اذكر بعض ما يُرشد إليه الحديث.



الحديث السادس
حرمة الدماء

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا».

معاني المفردات:

«لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ»، وفي رواية: «لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ».

«فِي فُسْحَةٍ»: أي: سَعَة. وقيل: يُرَاد بها قوة رجائه العفو من اللَّه ـ تعالى ـ.

«مِنْ دِينِهِ» أي: في الدين. وفيه إشعار بالوعيد على قتل المؤمن متعمدًا بغير حق بما يتوعد به الكافر.

وفي رواية: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ ذَنْبِهِ» بذال مفتوحة، فَنُونٌ ساكنة، وفيه:إشارة إلى استبعاد العفو عنه. والفُسْحَةُ في الذَّنْبِ: قبوله للغفران بالتوبة، فإذا وقع القتل ارتفع القبول.

«مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»: بأن يَقْتُلَ نَفْسًا مُتَعَمِّدًا بغير حَقٍّ.

المباحث العربية:

«مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»: كناية عن القتل العَمْدِ بغير حَقٍّ.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ حرمة قتل النفس بغير حق.



٢ـ آراء العلماء في قبول توبة القاتل.

٣ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ حرمة قتل النفس بغير حق:

ـ يبين النبي ﷺ أن من يقتل نفسًا بغير حق، فإنه يُضَيَّقُ عليه دينه؛ لما أوعد اللَّه على القتل عمدًا بغير حقٍّ بما تَوَعَّدَ به الكافر، والفسحة في الدين: سَعَةَ الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت؛ لأنها لا تفي بوزره، وزاد الطبراني في معجمه الكبير: «فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا نُزِعَ مِنْهُ الْحَيَاءُ»[1]، أَمَّا إذا أَصَابَ المسلم ذَنْبًا غير القتل كان في سَعَةٍ بسبب ذَنْبِهِ؛ لقوة رجائه العفو من اللَّه ـ تعالى ـ فإذا كان الذنبُ قَتْلًا صار في ضيق بسبب ذنبه؛ لاستبعاده العفو عنه، فيستمر في الضيق المذكور. وقيل: لارتفاع قبول الغفران بالتوبة.

٢ـ آراء العلماء في قبول توبة القاتل:

ـ وفي قبول توبة القاتل من عدمه مذهبان:

الأول: عدم قبول توبة القاتل، وهو رأي ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

والثاني: قبولها، كتوبة باقي أصحاب الكبائر، وهو مذهب الجمهور.

٣ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبى ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ مَنْ يَقْتل نفسًا بغير حق فإنه يُضَيَّقُ عليه في دينه.

٣ـ توعد اللَّه ـ تعالى ـ القاتل بغير حق بجهنم التي توعَّد بها الكافر.

٤ـ القتل سبب للضيق.

٥ـ قبول توبة القاتل على مذهب الجمهور.

---

(١) الحديث بهذا الإسناد صحيح إلاَّ أن فيه انقطاعًا بين إبراهيم النخعى وابن مسعود ولكنه لا يؤثر على صحة الحديث لأن مراسيل النخعى عن ابن مسعود صحيحة.

الأسئلة

١ـ ما معنى كلمة «فُسْحَةٍ»، وما المقصود بقوله ﷺ: «مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»؟

٢ـ من خلال ما درست في هذا الحديث، وغيره، بَيِّن حرمة الدماء في الإسلام.

٣ـ وضح آراء العلماء في قبول توبة القاتل من عدمه.

٤ـ اشرح الحديث بأسلوبك شرحًا موجزًا.

٥ـ اذكر أهم ما يرشد إليه الحديث.

* * *

الحديث السابع

وجوب طاعة النبي ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبى».

معاني المفردات:

«كُلُّ أُمَّتِي»: أي أمة الإجابة.

«إِلَّا مَنْ أَبى»: أي: امتنع عن قبول ما جئت به.

«مَنْ أَطَاعَنِي»: أي: انقاد، وأَذْعَنَ لما جئت به.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ بيان معنى قوله ﷺ: «كل أمتي».

٢ـ المراد بقوله: «إلا من أبى».

٣ـ بيان المعنى المترتب على إعراب قوله: «ومن يأبى».

٤ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ بيان معنى قوله ﷺ: «كل أمتي»:

ـ قد يُرَادُ من قوله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي» أمة الإجابة؛ وعليه يكون معنى قوله ﷺ: «مَنْ أَبى»: أي: من عصى منهم، وامتنع عن امتثال الأمر؛ فاستثناهم تغليظًا عليهم، وزجرًا عن المعاصي.



وقد يكون المراد منه: أُمَّة الدعوة؛ وعليه يكون معنى قوله ﷺ: «مَنْ أَبى»: أي: كفر بامتناعه من قبول دعوته ﷺ.

٢ـ المراد بقوله: «إلا من أبى»:

ـ إذا كان المراد بـقوله ﷺ: «إِلَّا مَنْ أَبى» أمة الإجابة، يعني: عصاة المـُوَحِّدين، فليس معنى الحديث أنَّه لا يدخل الجنة، ويُخَلَّد في النار أبدًا بل يكون معناه: أنَّه لا يدخل الجنة في أول الحال مع الطائعين الممتثلين للأمر، بل يتأخر دخوله.

٣ـ بيان المعنى المترتب على إعراب قوله: «ومن يأبى».

ـ قال بعض العلماء «وَمَنْ يَأْبى؟»: معطوف على محذوف، ـ «تقديره: عرفنا الذين يدخلون الجنة، والذي أَبى لا نعرفه»ـ، وكان من حق الجواب أن يُقَالَ: من عصاني فقد أَبى، فَعَدَل إلى ما ذكره تنبيهًا به على أنهم ما عرفوا ذاك ولا هذا، إذ التقدير: من أطاعني، وتمسك بالكتاب والسُّنّة دخل الجنة، ومن اتَّبَعَ هواه، وزَلَّ عن الصواب، وضَلَّ عن الطريق المستقيم دخل النار، فوضع «أَبى» موضعه وضعًا للسبب، موضع المـُسَبَّب، ويؤيد هذا التأويل إيراد البخاريِّ رحمه الله هذا الحديث في كتاب: «الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة»، والتصريح بذكر الطاعة؛ فإن المطيع هو الذي يعتصم بالكتاب والسُّنّة، ويجتنب الأهواء والبدع.

٤ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبى ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ المطيع هو الذي يعتصم بالكتاب والسُّنّة، ويجتنب الأهواء والبدع.

٣ـ عظم ثواب من أطاع الرسول ﷺ وامتثل أمره.

٤ـ استحقاق العقاب للعصاة الذين لم يُذْعِنُوا لأوامره ﷺ.

٥ـ بشارة الطائعين بالجنة، ونذارة العاصين بالنار.



الأسئلة

١ـ اذكر معاني المفردات الآتية:

(أُمَّتِي ـ مَنْ أَبَى ـ مَنْ أَطَاعَنِي).

اذكر مناسبة إيراد البخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث في كتاب: «الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة» من «صحيحه».

٢ـ ما المراد بالأمة في قوله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى؟».

٣ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٤ـ اذكر بعض ما يُرشد إليه الحديث.

❊ ❊ ❊



الحديث الثامن

لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُه الجَنَّةَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ: إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ».

معاني المفردات:

«قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟»: لا ينجيك عملك مع عظيم قَدْرِكَ.

«يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»: أي: يَغْمرني، ويُلبسني، ويسترني بها.

«فَسَدِّدُوا»: أي: اقصدوا السداد، يعني: الصواب بالإخلاص في العمل.

«وَقَارِبُوا»: أي: لا تُفرِطُوا فَتُجْهِدُوا أنفُسَكُم في العبادة؛ لئلا يُفْضِي بكم ذلك إلى الملل فتتركوا العمل.

«وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ»: مفهومه: أَنَّه إذا نَزَلَ به الموت لَا يُمْنَع من تَمَنِّيه رضًا بقضاء اللَّه ـ تعالى ـ، ولا من طلبه لذلك.

«أَنْ يَسْتَعْتِبَ»: أي: يطلب العُتْبَى، وهو الإرضاء، والمراد: أَنَّه يطلب رضا اللَّه تعالى بالتوبة، ورد المظالم، وتدارك ما فاته.

المباحث العربية:

«لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ»: المضارع مبني للمعلوم، و«أَحَدًا» مفعوله الأول مُقَدَّم، و«الجَنَّةَ» مفعوله الثاني، و«عَمَلُهُ» فاعله أُخِّرَ؛ لاشتماله على ضمير يعود على المفعول.



«وَلاَ أَنْتَ»: «أَنْتَ» مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير: «وَلَا أَنْتَ يُدْخِلُكَ عَمَلُكَ الجَنَّةَ».

«وَلاَ أَنَا»: الخبر محذوف أيضًا، والتقدير: لنْ يُدْخِلَ أَحَدًا الجَنَّةَ عَمَلُهُ، ولَا أَنَا يُدْخِلُنِي عَمَلِي الجَنَّةَ.

«إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ»: مأخوذ من غَمَدْتُ السيف، وأَغْمَدتُه: ألبسته غمده، وغشيته به، فيه استعارة تبعية حيث شَبَّـهَ غشيان الرحمة على الإنسان بغشيان الغمد على السيف بجامع الوقاية في كُلٍّ، ثم اسْتُعِيرَ المـُشَبَّه به للمُشَبَّه.

«بِفَضْلٍ»: الباء: للملابسة.

«فَسَدِّدُوا»: الفاء فصيحة، أي تُفْصِح عن جواب شرطٍ مُقَدَّر، أي: إذا علمتم ذلك فسددوا.

«وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ»: نفي بمعنى النهي، وفي رواية: «وَلاَ يَتَمَنَّ»: بحذف الياء والنون بلفظ النهي.

«ولعلّ»: في الموضعين الرّجاء المجرد عن التعليل، وأكثر مجيئها للرجاء إذا كان معه تعليل نحو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(١) سورة البقرة. الآية: ١٨٩.



٢ـ بيان معنى قوله: إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ برحمته.

٣ـ علة النهي عن تمني الموت.

٤ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ـ يدلُّ الحديث الشريف على أنَّ العمل ليس موجبًا لدخول الجنة، وإنما هو سبب عاديٌّ، فلا يُنافي هذا الحديث قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، ويجُاب أيضًا بأنَّ منازل الجنة تُنَالُ بالأعمال؛ لتفاوت درجاتها بحسب تفاوت الأعمال فتحمل الآية على ذلك، ويُحْمَل الحديث على أصل الدخول، والمعنى أورثتم منازلها، وكذا قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، أي: ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون، أو المراد ادخلوها بذلك مع رحمة اللَّه ـ تعالى ـ لكم، وتفضله عليكم؛ لأن انقسام منازل الجنة برحمته، وكذا أصل دخولها حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك، إذ لا يخلو شيء من مجازاته عباده من فضله ورحمته.

٢ـ بيان معنى قوله: إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ برحمته:

ـ معنى قوله ﷺ: «وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»، أي: يُلبسني اللَّه، ويسترني ويغشاني بفضله، ورحمته، وفي رواية: «وَلا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» وجاء في رواية مسلم: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَدَارَكَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ»،

(١) سورة الزخرف. الآية: ٧٢.
(٢) سورة النحل. الآية: ٣٢.



وفي حديث جابر عند مسلم: «لَا يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجُنَّةَ، وَلَا يُجِيرُهُ مِنَ النَّارِ، وَلَا أَنَا، إِلَّا بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ».

ـ معنى قوله ﷺ: «فَسَدِّدُوا»: أي: اقصدوا الصواب بالإخلاص في العمل، وجاء في رواية مسلم: «وَلَكِنْ سَدِّدُوا»، ومعنى الاستدراك: أنَّه قد يُفْهَمُ من النَّفْيِّ المذكور نفي فائدة العمل، فكأنَّه قيل له: بل له فائدة، وهي: أنَّ العمل علامة على وجود الرّحمة التي تُدخِلُ العاملَ الجنة، فاعملوا، واقصدوا بعملكم الصواب إلى اتباع السنة من الإخلاص، وغيره؛ ليُقْبَلَ عملكم فتنزل الرَّحمة.

٣ـ علة النهي عن تمني الموت:

ـ تظهر علة النهي عن تمني الموت في الحديث؛ بأنَّ حال الإنسان لا يخلو عن الإحسان، أو الإساءة؛ فإذا كان محسنًا فلا يتمنى الموت لعله يزداد إحسانًا على إحسانه؛ فيتضاعف ثوابه، وإذا كان مسيئًا فلا يتمنى الموت أيضًا، لعله أن يندم على إساءته، ويطلب الرضا عنه، فيكون ذلك سببًا لمحو سيئاته التي اقترفها.

ـ في هذا الحديث رَدٌّ على المعتزلة القائلين بأنَّ الطاعة سبب الثواب مُوجبة له، والمعصية سبب العقاب، مُوجبة له؛ بناءً على قاعدتهم في التحسين والتقبيح العقليين.

ما يُرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبى ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ أنَّ عمل الإنسان مهما بلغ لا يُقابل دخول الجنة.

٣ـ إرشاد المسلم إلى سلوك طريق الوسط في العبادة من غير إفراطٍ، ولا تفريط.

٤ـ النّهي عن تمني الموت لضر نزل به من فقر، أو بلاء، ونحو ذلك من مشاقّ الدنيا.

٥ـ جواز تمني المؤمن للموت إذا خاف فتنة في دينه.



الأسئلة

١ـ اذكر معاني المفردات الآتية:

(قَالُوا وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ـ فسَدِّدُوا ـ قَارِبُوا ـ أَنْ يَسْتَعْتِبَ).

٢ـ هل الأعمال سبب في دخول الجنة؟

٣ـ ما نوع الاستعارة في قوله «إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ»؟

٤ـ بَيِّن وجه الرد بهذا الحديث على المعتزلة.

٥ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٦ـ اذكر بعض ما يُرشد إليه الحديث.

***



الحديث التاسع

صفة الجنة ونعيمها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1]».

معاني المفردات:

«الصَّالِحِينَ»: أي: القائمين بما وجب عليهم من حق اللَّه، والخلق.

«مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ»: أيْ: مَا لم تبْصِره عَيْنٌ.

«وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ»: أي: وَلَا سَمِعَتْ وَصْفه أُذُن.

«وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»: أي: وَلَا وقع، ولا توهمه قَلْبُ بَشَر.

«من قُرَّةِ أَعْيُنٍ»: يُقَالُ: أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ، ومعناه: بَرَّد اللَّهُ دَمْعَتَهَا؛ لأن دمعة الفرح باردة، وقيل: معناه: بَلَّغَكَ اللَّهُ أُمْنِيَتَكَ حتى تَرْضَى بها نَفْسُك، وتَقَرَّ عَيْنُكَ، فَلا تَسْتَشْرِف إلى غيره.

المباحث العربية:

«مَا» إما موصولة، أو موصوفة و«عَيْنٌ» وقعت في سياق النفي؛ فأفاد الاستغراق.

والمعنى: ما رأت العيون، ولا عين واحدة منهن.

---

(١) سورة السجدة. الآية: ١٧.

والأسلوب من باب قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾[1].

يحتمل أن ينسحب النفي على الوصف فقط، فيكون له شفيع، ولكنه لا يُطَاع، أي لا تقبل شفاعته، واحتمل أن ينسحب النفي على الموصوف وصفته معًا: أي: لا شفيع فيطاع، فهو مبالغة في نفي الشفيع؛ لأنّه كنفيه بنفي لازمه.

وعليه، فيحتمل هنا نفي الرؤية، والعين مَعًا، أي: لا رُؤية، ولا عَيْن، أو نفي الرؤية فقط، أي: لا رؤية.

وعلى الأوّل الغرض منه نفي العين؛ وإنما ضمت إليه الرؤية؛ ليؤذن بأن انتفاء الموصوف أمر مُحَقَّق لا نِزَاعَ فيه، وبلغ في تحققه إلى أن صار كالشاهد على نفي الصفة، ومثله قوله ﷺ: «وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ».

«وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»: من باب قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ﴾[2]، أي: لا قلب، ولا خطور، أو لا خطور؛ فعلى الأوّل: ليس لهم قلب يخطر، فجعل انتفاء الصفة دليلًا على انتفاء الذات، أي: إذا لم تحصل ثمرة القلب، وهي الإخطار، فلا قلب كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾[3].

«نَفْسٌ»: نكرة في سياق النفي فتعم.

«مَا أُخْفِيَ»: بفتح الياء بصيغة الماضي المبني للمفعول (المجهول)، و«مَا»: موصولة، أي: لا يُعْلَمُ الذي أخفاه اللَّه تعالى.

---

(١) سورة غافر. الآية: ١٨.
(٢) سورة غافر. الآية: ٥٢.
(٣) سورة ق. الآية: ٣٧.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ سر التعبير بالمحسوسات في الحديث.

٢ـ سبب تخصيص الحديث «البشر» بالذكر.

٣ـ بيان معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾.

٤ـ بيان ما يرشد إليه الحديث.

١ ـ سر التعبير بالمحسوسات في الحديث:

ـ معنى الحديث: أنَّ اللَّه تعالى ادَّخر في الجنة من النعيم، والخيرات، واللذات ما لم يطّلع عليه أحد من الخلق بطريقٍ من الطرق، فَذَكَرَ الرؤية، والسمع؛ لأن أكثر المحسوسات تُدْرَكُ بهما، والإدراك ببقية الحواس أقلُّ، ولا يكون غالبًا إلَّا بعد تقدم رؤية أو سماع، ثُمَّ زاد أنَّه لم يجعل لأحدٍ طريقًا إلى توهمها بذكر، أو أن تخطر على قَلْب، فقد جَلَّت عن أن يُدْرِكَهَا فِكْرٌ أو خَاطِرٌ.

٢ـ سبب تخصيص الحديث «البشر» بالذكر:

ـ وَخَصَّ الحديثُ البَشَرَ؛ لأنهم الذين ينتفعون بما أُعِدَّ لهم، ويهتمون لشأنه بباله بخلاف الملائكة.

٣ـ بيان معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾:

ـ معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.



أي: فلا تعلم نفسٌ ما أَخْفَى اللَّهُ لهؤلاء مما تَقَرُّ به أعينُهُم في جِنَانِهِ يوم القيامة ثوابًا لهم على أعمالهم التِّي كانوا في الدنيا يَعْمَلُونَها.

٤ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ في الحديث بيان لعظم منزلة الجنة.

٣ـ الترغيب في العمل الصالح؛ لأنه سبب لدخول الجنة.

٤ـ أنَّ نعيم الجنة يَجِلُّ عن وصف البشر.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

١ـ بين معاني الكلمات الآتية:

(الصَّالِحِينَ ـ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ـ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ـ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ).

٢ـ وضح الأسلوب في قوله: «مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ».

٣ـ لم خَصَّ الحديثُ «البَشَرَ» بالذكر، دون الملائكة؟

٤ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٥ـ اذكر ما يرشد إليه الحديث.

❊ ❊ ❊



الحديث العاشر
حُسْن خُلُقه ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا».

معاني المفردات

«مَا خُيِّرَ»: أي: ما طُلِبَ منه الاختيار.

«بَيْنَ أَمْرَيْنِ»: من أمور الدنيا.

«إِلَّا أَخَذَ»: أي: اختار.

«أَيْسَرَهُمَا»: أي: أسهلهما أداءً.

«مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا»: أي: ما لم يكن أيسرهما مُفْضِيًا إلى الإثم.

«فَإِنْ كَانَ»: أي: الأيسر.

«إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ»: أي: لكن إذا انتهكت.

«فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ»: عز وجل، لا لنفسه.

«بِهَا»: أي بسببها.

المباحث العربية

«مَا خُيِّرَ»: أبهم فاعل «خُيِّرَ» ليكون أعم ليشمل ما كان من قِبَلِ اللَّه تعالى، ومن قِبل المخلوقين.



«إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ»: اسْتِثناء مُنْقَطِع، يَعْنِي: إِذا انتهكت حُرْمَة اللَّه انتصر لله تَعَالَى وانتقم مِمَّن ارْتكب ذَلِك.

الشرح والبيان

١ـ بيان معنى الإثم، وهل يجوز نسبته في حق النبي ﷺ؟

٢ـ بيان عفو النبي ﷺ والجواب عما يوهم غير ذلك.

٣ـ بيان ما يرشد إليه الحديث.

١ـ بيان معنى الإثم، وهل يجوز نسبته في حق النبي ﷺ؟

ـ معنى قولها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا» يريد في أمر دنياه؛ لقوله: «مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا»، فالإثم لا يكون في أمور الآخرة، «فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ»: وذلك كالتخيير بين المجاهدة في العبادة، والاقتصاد فيها، فإن المجاهدة إن كانت بحيث تَجُر إلى الهلاك لا تجوز، وكالتخيير بين أنْ يفتح عليه من كنوز الأرض ما يُخشى من الاشتغال به ألَّا يتفرغ للعبادة، وبين أن لا يؤتيه من الدنيا إلا الكفاف، وإن كانت السَّعَة أسهل منه، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: والإثم على هذا أمر نسبيٌّ، لا يُرَاد منه معنى الخطيئة؛ لثبوت العصمة للنبى ﷺ.

٢ـ بيان عفو النبي ﷺ والجواب عما يوهم غير ذلك:

ـ ومما يدل على أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ خاصة، عفوه عن الأعرابي الذي جَفَا في رفع صوته، وقال: إنكم يا بني عبد المطلب مُطْل، وعن الآخر الذي جَذَبَهُ من حاشية ردائه حتى أَثَّر في كتفه، ورقبته.



ـ ولا يُقَال إنَّه انتقم لنفسه حين أمر بقتل عبدِ اللَّه بنِ خَطَل، وعُقْبَةَ بنِ أبي مَعْيطٍ، وغيرهما ممن كان يؤذيه؛ لأنهم مع ذلك كانوا ينتهكون حرمات اللَّه ـ تعالى ـ، أو أنَّ إيذاءه من حيث هو رسول اللَّه ﷺ فهو انتهاك لمحارم اللَّه تعالى.

٣ـ ما يُرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبى ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ بيان ما كان عليه ﷺ من مكارم الأخلاق.

٣ـ الحث على ترك الأخذ بالشيء العسير، وترك التشدد.

٤ـ الحث على الحلم، واحتمال الأذى.

٥ـ الحث على العفو إلا في حقوق اللَّه تعالى.

٦ـ الندب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ما لم يُفْضِ إلى ما هو أشد منه.

* * *

الأسئلة

١ـ اذكر معاني المفردات الآتية:

(بَيْنَ أَمْرَيْنِ ـ أَيْسَرَهُمَا ـ إِثْمًا).

٢ـ ما السر في إبهام فاعل «ما خُيِّر»؟

٣ـ بِمَ تُجيب على من يقول: إن النبي ﷺ انتقم لنفسه حين أمر بقتل عبدِ اللَّه ابنِ خَطَل، وعُقْبَةَ بنِ أبي مُعِيطٍ، وغيرهما ممن كان يؤذيه؟

٤ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٥ـ اذكر ما يُرشد إليه الحديث.

الحديث الحادي عشر
بِـرُّ الوَالِدَيْن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ».

معاني المفردات:

«جَاءَ رَجُلٌ»: هو معاوية بن حَيْدَةَ القُشَيْرِيُّ ﵁.

«أَحَقُّ»: أفعل تفضيل بمعنى أكثر حقًّا، وأعظم بِرًّا.

«صَحَابَتِي»: بفتح الصاد، مصدر كالصحبة، بمعنى: المصاحبة.

«ثُمَّ أُمُّكَ»: كرّر الأم ثلاثًا لمزيد حقها، وللاعتناء بشأنها.

المباحث العربية:

«أُمُّك»: خبر مبتدأ محذوف، تقديره أحق الناس أمك، أو مبتدأ لخبر محذوف.

«ثُمَّ مَنْ»: مبتدأ، والخبر محذوف، والجملة معطوفة على جملة محذوفة، والتقدير: قال: «أَحَقُّ النَّاسِ أُمُّكَ، ثم أَحَقُّ النَّاسِ أُمُّكَ».

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ سبب تكرار الأم في الحديث «ثلاثًا».

٢ـ المراد بحسن الصحبة للوالدين.

٣ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ سبب تكرار الأم في الحديث «ثلاثًا»:

ـ كرَّر النبيُّ ﷺ الأمَّ ثَلاثًا في الحديث؛ إشارةً إلى أنَّها تستحق على ولدها النصيب الأوفر من البرِّ، وللحث على عدم التهاون في حقها استنادًا على ضعفها، وشدة شفقتها، بل مقتضاه كما قال الإمام ابنُ بَطَّالٍ أن يكون لها ثلاثة أمثال ما للأب من البّر؛ لصعوبة الحمل، ثم الوضع، ثم الرضاع، والذي ذهب إليه الشافعية أن بِرَّهُمَا يكون سواء.

فيظهر مما سبق أن سِرَّ تقديمه ﷺ للأم كثرة تعبها على ولدها، وشدة شفقتها عليه، وكثرة خدمتها له، وتحملها المعاناة، والمشقة في حمله، ثم وضعه، ثم إرضاعه، ثم تربيته، وخدمته، وتمريضه، وغير ذلك من لوازم العناية والرعاية.

٢ـ المراد بحسن الصحبة للوالدين:

ـ والغرض من حسن الصحبة طاعة أوامرهما، والبر بهما، والإحسان إليهما، ولو كان الأبوان كافرين، إلَّا أنْ يأمُرَا بمعصية اللَّه، والدعاء لهما، وإكرام صديقهما، وغير ذلك.

ـ وسر اهتمامه ﷺ بالوصية بالوالدين أنهما سبب وجود الإنسان في هذه الحياة، رَبَيَّاه صغيرًا، وقاما على رعايته كبيرًا، فمن لم يشكرهما بحسن صحبتهما كان جاحدًا لكل من أحسن إليه من باب أولى.

٣ـ ما يُرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ الحثُّ على بر الوالدين، والقيام بحقوقهما، وبخاصة الأم.

٣ـ إذا كثرت الحقوق رُتِّبَت في الأداء على حسب أهميتها.

٤ـ على المسلم أن يسأل أهل الذكر عَمَّا لا يعلم؛ ليؤدي حق اللَّه وحق عباده.

٥ـ حرص الصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم ـ على تعلم ما ينفعهم من أمر دينهم، ودنياهم.

* * *

الأسئلة

١ـ ـ اذكر معاني المفردات الآتية:

(أَحَقُّ ـ صَحَابَتِي ـ ثُمَّ أُمُّكَ).

٢ـ ما إعراب قوله: «ثُمَّ مَنْ»؟

٣ـ لماذا كرر الوصية بالأم ثلاثًا؟.

٤ـ ما سِرُّ اهتمامه ﷺ بالوصية بالوالدين؟

٥ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٦ـ اذكر بعض ما يُرشد إليه الحديث.

* * *

الحديث الثاني عشر
فضل تلاوة القرآن، وتعاهُده

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ».

معاني المفردات:

«مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ»: أي صفته.

«وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ»: أي ماهر به لا يتوقف فيه، ولا يَشُقُّ عليه؛ لجودة حفظه وإتقانه.

«مَعَ السَّفَرَةِ»: جمع سافر، ككاتب، وكَتَبَة، وهم الرُّسل؛ لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات اللَّه ـ تعالى ـ.

«الكِرَامِ البَرَرَةِ»: أي المطيعين.

«يَتَعَاهَدُهُ»: يضبطه، ويتفقده، ويُكرر قراءته حتى لا ينساه.

«وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ»: لضعف حفظه، مثل من يحاول عبادة شاقة، يقوم بأعبائها مع شدتها، وصعوبتها عليه.

«فَلَهُ أَجْرَانِ»: أجر القراءة، وأجر التعب.

المباحث العربية:

«مَعَ السَّفَرَةِ»: حال من «الَّذِي»، أي: حال كونه مع السفرة.

«مَثَلُ الَّذِي»: مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: «كونه» في الأول، و«مثل ما يحاول» في الثاني.

الشرح والبيان:

١ـ ثواب الماهر بالقرآن وبيان مكانته.

٢ـ دفع توهم أن صاحب المشقة أعظم أجرًا من الماهر بالقرآن.

١ـ ثواب الماهر بالقرآن وبيان مكانته:

ـ المراد بكونه مع السفرة الكرام البررة أنْ يكون رفيقًا للملائكة السفرة؛ لاتصاف بعضهم بحمل كتاب اللَّه تعالى أو أنَّه عامل بعملهم، وسالك مسالكهم من حفظه وأدائه إلى المؤمنين، وكشْفه لهم ما يلتبس عليهم.

٢ـ دفع توهم أن صاحب المشقة أعظم أجرًا من الماهر بالقرآن:

ـ ليس المراد من قوله ﷺ: «فَلَهُ أَجْرَانِ» أنَّ أجر من يقرأ بمشقة أكثر من أجر الماهر، بل الأول أكثر؛ ولذا كان مع السَّفرة، ولمن رَجَّحَ ذلك أن يقول: الأجر على قدر المشقة، لكن لا يُسَلَّم أنَّ الحافظ الماهر خالٍ من مشقة؛ لأنه لا يَصِيرُ كذلك إلَّا بعد عناء كثير، ومشقة شديدة غالبًا، إلَّا أنْ يُقَالَ أراد المشقة حال التلاوة، وهي حاصلةٌ للثاني، دون الأول.

ما يُرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبى ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ فضل تلاوة القرآن، وتعاهده، والحث عليه.

٣ـ الهدف من قراءة القرآن: تدبره، والعمل به، لا مجرد النطق بألفاظه.

٤ـ الأجر على قدر المشقة.

٥ـ فضل قارئ القرآن سواء أكان ماهرًا في تلاوته، أم لا.

الأسئلة

١ـ اذكر معاني المفردات الآتية:

(مَعَ السَّفَرَةِ ـ الكِرَامِ البَرَرَةِ ـ يَتَعَاهَدُهُ ـ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ).

٢ـ ما المراد بكون الماهر بالقرآن مع الكرام البررة؟

٣ـ ما حجة من يقول: إنَّ أجر من يقرأ بمشقة أكثر من أجر الماهر، وكيف ترد عليه؟

٤ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٥ـ اذكر ما يُرشد إليه الحديث.

❊ ❊ ❊

الحديث الثالث عشر
الزُّهدُ في الدُّنْيا

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

معاني المفردات:

«بِمَنْكِبِي»: بكسر الكاف، والباء، وتخفيف الياء، وضبطه بعضهم بتشديدها «بِمَنْكِبَيَّ» بلفظ التثنية، والمَنْكِبُ: مجتمع رأس العضد، والكتف.

«كَأَنَّكَ غَرِيبٌ»: هو مَنْ يَقْدُمُ بَلَدًا لا مسكن له فيها يأوي إليه، وليس معه أهله.

«أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»: هو من يقصد بلدًا بعيدًا، وبينه وبينها مسافات بعيدة، ولم يصله بَعْد. فالغريب قد يسكن في القرية، ويُقِيمُ فيها، بخلاف عابر السبيل، فإنه لا يقيم في الطريق.

«وَخُذْ مِنْ»: أي: من زمن.

«وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»: أي: خذ نصيب الموت وما يحصل فيه من عدم العمل في السقم.

المباحث العربية:

«أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»: «أَوْ» بمعنى «بَلْ»، أو يجوز أنْ تكون للتخيير، والإباحة.



الشرح والبيان:

١ـ بيان بلاغته ﷺ وفصاحته، وسر التعبير بقوله: «كأنك غريب».

٢ـ معنى قوله: «وخذ من صحتك لمرضك».

٣ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ ـ بيان بلاغته ﷺ وفصاحته، وسر التعبير بقوله: «كأنك غريب»:

ـ هذا الحديث من جوامع كَلِمِهِ ﷺ فقوله: «كَأَنَّكَ غَرِيبٌ» لفظة جامعة لأنواع النصائح؛ إذ الغريب لقلة معرفته بالناس، قليل الحسد، والعداوة، والحقد، والنفاق، والنـزاع، وسائر الرذائل التي منشؤها الاختلاط بالخلائق؛ ولقلة إقامته، قليل الدار، والبستان، والمزرعة، والأهل، والعيال، وسائر العلائق التي هي منشأ الاشتغال عن الخالق.

ـ معنى قوله رضي الله عنه: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ»: أي سر دائمًا، ولا تُقَصِّر في السير ساعة، فإنَّك إنْ قَصَّرتَ فيه انقطعت عن المقصود، وهلكت في مفاوز الطريق، فالعاقل إذا أمسى لا ينتظر الصباح، وإذا أصبح لا ينتظر المساء، بل يظن أن أجله يدركه قبل ذلك فيعمل ما يبقى نفعه بعد موته، ويبادر أيام صحته بالعمل الصالح، فإن المرض قد يطرأ فيمنع من العمل، فيُخْشَى على مَن فَرَّطَ في ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد، فمن لم ينتهز الفرصة يندم عليها.

٢ـ معنى قوله: «وخذ من صحتك لمرضك»:

ـ معنى قوله ﵁: «وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ»: أي: سر سيرك المعتدل في حال صحتك، بل لا تَقْنَع به، وزِدْ عليه بقدرِ قوتك مَا دامت فيك قوة، بحيث يكون ما بك من تلك الزيادة قائمًا مقام ما قد يفوت حال المرض، والضعف، أو اشتغل في الصحة بالطاعة، بحيث لو حصل تقصير في المرض انجبر بذلك.

ـ معنى قوله ﵁: «وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»، أي: لا تقعد في المرض عن السير كل القعود، بل ما أمكنك منه فاجتهد فيه، حتى تنتهي إلى لقاء اللَّه تعالى وما عنده من الرشاد والفلاح، وإلا خِبْتَ وخَسِرْت.

٣ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ الحث على الزهد في الدنيا، وإيثار ما عند اللَّه تعالى في الآخرة.

٣ـ الحض على قلة مخالطة الخلائق، وقطع العلائق التي تُشْغل عن الخالق.

٤ـ مخاطبة الواحد وإرادة الجمع، فالخطاب للأمة، وليس لابن عمر ﵁ وحده.

٥ـ اغتنام الصحة قبل المرض، والحياة قبل الموت.

* * *

الأسئلة

١ـ اذكر معاني المفردات الآتية:

(كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ـ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ).

٢ـ وضح معنى قوله ﷺ: «وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

٣ـ ما نوع «أَوْ» في قوله ﷺ: «أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»؟

٤ـ بين سر كون هذا الحديث من جوامع كَلِمِهِ ﷺ.

٥ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٦ـ اذكر ما يُرشد إليه الحديث.

❊ ❊ ❊

الحديث الرابع عشر
من تعاليم النبي ﷺ لأمته

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ».

معاني المفردات:

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ»: تعليمًا لأمته، أو عبودية منه.

«الكَسَلِ»: هو التثاقل، والفتور، والتواني عن الأمر مع القدرة على عمله؛ إيثارًا لراحة البدن على التعب.

«وَالهَرَمِ»: هو الزيادة في كِبَر السِّنِّ المؤدي إلى ضعف الأعضاء.

«وَالمَأْثَمِ»: أي: ما يُوجب الإثم.

«وَالمَغْرَمِ»: أي: الدَّيْن فيما لا يجوز، أو فيما يجوز ثم عجز عنه.

«وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ»: هي: سؤال منكر ونكير، والمراد من شر ذلك، وإلا فأصل السؤال واقع لا محالة فلا يُدْعَى برفعه، فيكون عذاب القبر مسببًا عن ذلك.

«وَعَذَابِ القَبْرِ»: هو ما يترتب بعد فتنته على المجرمين، وهو التحيُّر في الجواب عند سؤال الملكين.



«وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ»: قيل: هي سؤال الخَـزَنَةِ على سبيل التوبيخ.

«وَعَذَابِ النَّارِ»: بعد فتنـتها، أي: أن أكون معذبًا بها.

«وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى»: كالبَطَرِ، والطُّغْيان، وصرفه في الطُّغْيَان، والتفاخر به، وعدم تأدية الزكاة.

«المَسِيح»: آخره حاء؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة، أو لأنه يمسح الأرض، أي: يقطعها في أيام معلومة.

«الدَّجَّال»: أي: الأعور الخدّاع الكذّاب، والمراد به هنا الكذّاب المعهود الذي سيظهر في آخر الزمان.

«خَطَايَايَ»: جمع خطيئة، وهي الذنب.

«وَالبَرَدِ»: بفتح الباء والراء، حَبَّاتُ الغَمَام.

«مِنَ الدَّنَسِ»: أي: الوسَخِ.

«وَبَاعِدْ»: أي: بَعِّدْ، مبالغة في الإبعاد.

«بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ»: أي حُلْ بيني وبين الخطايا حتى لا يبقى لها مني اقتراب بالكلية.

المباحث العربية:

«نَقَّيْتَ»: بفتح التاء، وهي تأكيد لقوله السابق: «وَنَقِّ قَلْبِي»، ومجاز عن إزالة الذنوب، ومحو أثرها.

«الدَّجَّال»: صيغة مبالغة على وزن «فَعَّال» من الدّجل.

«بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ»: وجه التشبيه أنَّ التقاء المشرق بالمغرب مستحيل، فكأنه أراد أنَّه لا يبقى له من الذنوب أثر بالكلية.



الشرح والبيان:

١ـ سر التعبير بالشر في قوله ومن شر فتنة الغنى.

٢ـ أمثلة الفقر وسر استعاذة النبي ﷺ منه.

٣ـ المراد بفتنة الدَّجال.

٤ـ سبب تخصيص الثلج والبرد بالذكر.

٥ـ بيان ما يرشد إليه الحديث.

١ـ سر التعبير بالشر في قوله «ومن شر فتنة الغنى»:

ـ ذكر ﷺ لفظ «الشَّرِّ» في قوله: «وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى»، بينما لم يذكره في الفقر، ونحوه حين قال: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ...»؛ لأن مضرته أكثر من مضرة غيره، أو تغليظًا على الأغنياء حتى لا يغتروا بغناهم، ولا يغفلوا عن مفاسده، أو إيماءً إلى أن صورة أخواته لا خير فيها بخلاف صورته، فإنها قد تكون خيرًا.

٢ـ أمثلة الفقر وسر استعاذة النبي ﷺ منه:

ـ ومن أمثلة فتنة الفقر في قوله ﷺ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ»: أن يحمله الفقر على اكتساب الحرام، أو التلفظ بكلمات مؤدية إلى الكفر، أو بأن يحسد الأغنياء، ويطمع في أموالهم، ويتذلل بما يُدَنِّسُ العِرْض، وعدم الرضا بما قسم اللَّه ـ تعالى ـ وغير ذلك مما لا تُحمد عاقبته.

ـ قال الإمام الخَطَّابِيُّ: إنما استعاذ ﷺ من الفقر الذي هو فقر النفس، لا من قلة المال.



وقال بعضهم: وقد تكون استعاذته من فقر المال، والمراد الفتنة في عدم احتماله، وقلة الرضا به.

٣ـ المراد بفتنة الدَّجال:

ـ والمراد بـ «فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ» هي ما يظهر على يديه من الخوارق للعادة التي يَضِلُّ بها من ضَعُفَ إيمانه، كما اشتملت عليه الأحاديث الكثيرة التي بيَّنَت خروجه في آخر الزمان، وما يظهر معه من تلك الأمور.

٤ـ سبب تخصيص الثلج والبرد بالذكر:

ـ خَصَّ ﷺ مَاءَ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ بالذِّكْرِ؛ لأنهما من أنواع المُطَهِّرَات المُنَـزَّلة من السماء التي لا يمكن حصول الطهارة الكاملة إلا بأحدهما؛ تبيانًا لأنواع المغفرة التي لا يخلص من الذنوب إلا بها، والمراد: طَهِّرْني من الخطايا بأنواع مغفرتك، التي هي في تمحيص الذنوب بمثابة هذه الأنواع في إزالة الأرجاس، والأدناس، ورفع الجنابة، والأحداث.

ـ جاء في رواية أخرى: «اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ، وَالثَّلْجِ، وَالبَرَدِ» فالماء مستعار للغفران، والثَّلجُ، والبـَرَدُ للرحمة، وذكرهما بعد الماء لشمول أنواع الرحمة بعد المغفرة؛ لإطفاء حرارة عذاب النار التي هي في غاية الحرارة؛ لأن عذاب النار يُقَابِلُهُ الرحمة، أي: اغسل خطاياي بالماء، أي: اغفرها، وزِدْ على الغفران شمول الرحمة.

ـ وقد يقول قائل كيف يدعو ﷺ بما ذُكِرَ مع أنَّه معصوم، مغفور له ما تَقَدَّمَ من ذنبه، وما تأخر، والجواب: أنَّه قصد تعليم أمته، أو أنَّ المراد السؤال منه لأمته فيكون المعنى هنا: «أعوذ بك لأمتي»، أو أنَّه ﷺ سلك طريق التواضع، وإظهار العبودية، ولزوم خوف اللَّه، وإعظامه والافتقار إليه.

٥ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ إثبات عذاب القبر خلافًا لمن نفاه من المعتزلة.

٣ـ تعظيم شأن الدَّيْنِ، وأنه سبب للوقوع في الإثم.

٤ـ حرص المسلم على الدعاء بمجامع الدعوات، وأمهاتها.

٥ـ الحث على الاستعاذة من الفتن ما ظهر منها، وما بَطَنَ.

٦ـ الدعاء بالمغفرة الشاملة التي تمحو الذنوب، وتُنَقِّي القلب نقاء الثوب الأبيض.

* * *

الأسئلة

١ـ اذكر معاني المفردات الآتية:

(مِنَ الكَسَلِ ـ وَالهَرَم ـ وَالمَغْرَم ـ وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ ـ الدَّجَّال).

٢ـ بيِّن وجه الشبه في قوله ﷺ: «وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ».

٣ـ كيف تجيب على من يقول ما حاجة النبي ﷺ إلى هذا الدعاء، وهو المعصوم، المغفور له ما تَقَدَّمَ من ذنبه، وما تأخر؟

٤ـ لِمَ خَصَّ النبيُّ ﷺ مَاءَ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ بالذِّكْرِ؟

٥ـ ما المراد بـ «فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»؟

٦ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٧ـ اذكر بعض ما يُرشد إليه الحديث.



الحديث الخامس عشر

البِرُّ بالآباء، ولو كانوا مُشْركينَ

عَنْ أَسْماءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها قالَتْ: «قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهْيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهْيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ».

التعريف براوي الحديث

أَسماء بنت أبي بكر الصّديق رضي الله عنها التيمية القرشية، ذات النطاقين، أسلمت بعد سبعة عشر إنسانًا، توفيت سنة ٧٣ هـ بعد مقتل ابنها عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنه بأيام، وقد عاشت مائة عام.

معاني المفردات:

«فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»: أي: في المدة التي ما بين صلح الحديبية، وفتح مكة. أو في زمنه ﷺ.

«وَهْيَ رَاغِبَةٌ»: أي: راغبة في بِرِّ ابنتها، أو مُؤَمِّلَة طامعة في أنْ أَصِلها، وأُحْسِن إليها بالهبات، أو في القرب مني، ومجاورتي والتودد، أو راغبة عن ديني.

«فَاسْتَفْتَيْتُ»: أي: فسألتُ، والاستفتاء: السؤال.

«أَفَأَصِلُ»: من الصلة، وهي العطف، والبر، والإحسان، وكل ما تكون به صلة الرحم، وضدها: القطيعة.

المباحث العربية:

«وَهْيَ مُشْرِكَةٌ»: جملة حالية.

«وَهْيَ رَاغِبَةٌ»: جملة حالية.



الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ قصة الحديث وسبب وروده.

٢ـ المعنى المراد بقوله «راغبة».

٣ـ بيان ما يرشد إليه الحديث.

١ـ قصة الحديث وسبب وروده:

ـ قدمت قَيْلَةُ، وَقِيلَ: قُتَيْلَة بِنْتُ عَبْدِ الْعُزَّى الْقُرَشِيَّة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما في الهُدنة ـ وكان أبو بكر طلَّقها في الجاهلية ـ بهدايا، فأبت أسماء أنْ تَقْبَل هديتها، أو تُدْخِلَها بيتها وهي مشركة حتى تسأل رسول اللَّه ﷺ فاستفتته ﷺ فقالت: يا رسول اللَّه إنَّ أمي قدمت عليَّ، و نزلت عندي، وهي راغبة في شيء تأخذه، أو راغبة عن ديني معرضة عن الإسلام، أو راغبة في القرب مني، ومجاورتي، والتودّد إليَّ؛ لأنها ابتدأت أسماء بالهدية، ورغبت منها في المكافأة لا الإسلام؛ لأنه لم يقع في شيء من الروايات ما يدل على إسلامها.

٢ـ المعنى المراد بقوله «راغبة»:

ولو حُمِلَ قولها: «راغبة» أي: في الإسلام، لم يستلزم حصول إسلامها، فلذا لم يُصِبْ من ذكرها في الصحابة، وفي رواية صحيحة «رَاغِمَة» بالميم، أي: كارهة إسلامي، وهجرتي، أو ذليلة محتاجة إلى عطائي، وقيل: أي: هاربة من قومها، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: نَعَمْ صِلِي أُمَّك. قال سُفيان ابنُ عُيَيْنَةَ: فأنزل اللَّه فيها: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[1]. أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، كالنساء، والضعفة منهم، كما قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) سورة الممتحنة. الآية: ٨.



٣ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ جواز الهدية للمشركين لا سيما إذا كانوا من ذوي القربى.

٣ـ مشروعية صلة الرحم الكافرة كالرحم المسلمة.

٤ـ جواز موادعة أهل الحرب، ومعاملتهم في زمن الهدنة.

٥ـ التحري في أمور الدين، وسؤال أهل العلم عما لا نعلم.

* * *

الأسئلة

١ـ بين معاني الكلمات الآتية:

(فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ـ وَهْيَ رَاغِبَةٌ ـ فَاسْتَفْتَيْتُ ـ أَفَأَصِلُ؟).

٢ـ ما موقع جملة «وَهْيَ مُشْرِكَةٌ» من الإعراب؟ وما إعراب كلمة «رَاغِبَة»؟

٣ـ هل أسلمت أم أسماء رضي الله عنها؟ وضح ذلك.

٤ـ بيِّن معنى قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾.

٥ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٦ـ اذكر ما يرشد إليه الحديث.

* * *

الحديث السادس عشر
الرضا بنعم اللَّه تعالى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ».

معاني المفردات:

«مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ»: أي: زاد عنه في المال أو الخَلْق.

«وَالْخَلْق»: بفتح الخاء المعجمة، أي: الصورة. ويُحتمل أن يدخل فيه: الأولاد، والأتباع، وكل ما يتعلق بزينة الحياة الدنيا.

«فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ»: أي: في المال والخَلْق.

المباحث العربية:

«فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ»: «فَلْيَنْظُرْ»: جواب الشرط مقرون بالفاء وجوبًا؛ لأنه جملة طلبية، واللام: لام الأمر، والفعل المضارع بعدها مجزوم.

و«أَسْفَلَ»: بالفتح على الظرفية، ويجوز الرفع على الخبرية.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ الحث على التخلق بصفة الرضا والقناعة.

٢ـ بيان فضل الصابر والشاكر.

٣ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ الحث على التخلق بصفة الرضا والقناعة:

ـ يأمر النبيُّ ﷺ الشخص الذي ينظر إلى من هو فوقه في المال والخَلْق أن ينظر إلى من هو أسفل منه فيهما؛ ليكون ذلك داعيًا له إلى الشكر، ولا يحتقر، أو ينتقص نعمة اللَّه تعالى عليه كما جاء في «صحيح مسلم»: «فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ».

ـ ولا ريب أنَّ الشخص إذا نظر لمن هو أفضل منه في المال والخَلْقِ لم يأمن أن يُؤَثِّرَ ذلك فيه، بازدراء النعمة واحتقارها، فعلاجه: أن ينظر إلى من هو أسفل منه، فيرضى بنعمة اللَّه، ويُسَلِّم بقضائه.

ـ قال الإمام ابنُ بَطَّالٍ: لا يكون أحدٌ على حال سيئة من الدنيا إلَّا وَجَدَ مِنْ أهلها مَنْ هو أسوأُ حالًا منه، فإذا تأمَّل ذلك عَلِمَ أنَّ نعمة اللَّه تعالى وصلت إليه دون كثير ممن فُضِّلَ عليه بذلك مِنْ غير أمرٍ أوجبه، فَيَعْظُم اغتباطه بذلك، نعم ينظر إلى مَنْ هو أفضل منه في الدين؛ فيقتدي به.

٢ـ بيان فضل الصابر والشاكر:

ـ وقد بيَّن النبيُّ ﷺ في حديث آخر صفة الشاكر الصابر كما عند الترمذي من حديث عمرو بن شعيب مرفوعًا: «خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ، لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا، مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاقْتَدَى بِهِ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَصَابِرًا».



٣ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ نعم اللَّه تعالى في الأنفس وفي الآفاق لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى.

٣ـ من نظر إلى مَن هو فوقه في المال والخَلْقِ أَثَّرَ ذلك عليه.

٤ـ دواء من انتقص نعم اللَّه تعالى واحتقرها: أن ينظر إلى من هو دونه في المال والخَلْق.

٥ـ يجب أن ننظر إلى من هو فوقنا في الدين؛ لنقتدي به.

٦ـ النهي عن ازدراء النعم واحتقارها وانتقاصها.

❋ ❋ ❋

الأسئلة

١ـ ما الوجه الإعرابي لما يأتي:

(فَلْيَنْظُرْ ـ وَالْخُلْقِ ـ أسْفَل)؟

٢ـ ما علة أن ينظر الشخص إلى من هو أسفل منه في المال والخَلْق؟

٣ـ ما هما الخَصْلَتَانِ اللتان يكتب اللَّهُ المتصف بهما شَاكِرًا صَابِرًا؟

٤ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٥ـ اذكر ما يرشد إليه الحديث.





الحديث السابع عشر
مراعاة شعور الغير

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فَلا يَتَنَاجَى رَجُلانِ دُونَ الآخَرِ حَتَى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ».

معاني المفردات:

«إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً»: «كَانَ»: قد تكون تامة بمعنى: وُجِدَ، أو ناقصة بمعنى: صَارَ.

«فَلا يَتَنَاجَى رَجُلانِ دُونَ الآخَرِ»: أي: لا يتكلَّمان سرًّا منفردين عنه؛ لأن ذلك يسوؤه.

«حَتَى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ»: أي: يَختلط الثلاثة بِغَيْرِهم، واحدًا كان أو أكثر.

«أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ»: أي: مِنْ أجل أن يُضَايقه.

المباحث العربية:

«إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً»: «ثَلَاثَةً»: بالنَّصب على أنها خبر «كان»، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إذا كانوا ثلاثة» بالنَّصب على الخبرية، وبالرفع على البدلية من اسم كان.

«فَلا يَتَنَاجَى رَجُلانِ دُونَ الآخَرِ»: «لا»: نافية أو ناهية. و«يَتَنَاجَى»: بالياء، وبالألف بعد الجيم، بلفظ الخبر، ومعناه: النفي. وفي رواية: «يَتَنَاجَ» بإسقاط الألف، بلفظ النهي، مجزوم بحذف حرف العلة بعد «لا» الناهية.

«حَتَى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ» بالتاء على سبيل الخطاب، وقيل: بالياء على سبيل الغيبة.



«أَجْلَ»: بلام مفتوحة، كذا استعملته العرب بحذف «مِنْ»، أي: مِنْ أجل.

«أَنْ يُحْزِنَهُ»: من أَحْزَنَ وحَزِنَ، والمصدر المؤول في محل جر مضاف إليه.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ النهي عن التناجي سِرًّا بين اثنين منفردين أمام الثالث، وبيان العلة من ذلك.

٢ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ النهي عن التناجي سِرًّا بين اثنين منفردين أمام الثالث، وبيان العلة من ذلك:

ـ في هذا الحديث ينهى النبي ﷺ عن التَّناجي والتحدث سرًّا بين اثنين منفردين أمام الثالث؛ لأن ذلك يُحزنه، ويَسُوؤه إلا إذا اختلط الثلاثة بغيرهم، أو أذن لهما بذلك؛ ولأحمد عن نافع، عن ابن عمر مرفوعًا: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ، إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ».

ـ والعلة من هذا النهي: أن الواحد إذا بقي منفردًا، وتناجى مَنْ عداه دونه ربما ظَنَّ احتقارهم إياه من أن يُدخلوه في نجواهم، أو أنهم يُريدون به غَائلة أو داهية، أو أنهم يتكلمون عنه بسوء.

وهذا المعنى مأمون عند الاختلاط، وعدم إفراده من بين القوم بترك المناجاة، فلا يتناجى ثلاثة دون واحد، ولا عشرة؛ لأنه قد نَهَي أن يُتْرَكَ واحد؛ لأن المعنى في ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين للواحد، ومهما وُجِد المعنى فيه ألحق به في الحكم.



٢ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ نَهْيُ النبيِّ ﷺ عن التناجي بين اثنين أمام الآخر.

٣ـ مراعاة النبي ﷺ شعور الآخرين.

٤ـ تعليم النبي ﷺ أصحابه رضوان اللَّه عليهم الأدب، وحسن الخلق.

***

الأسئلة

١ـ بين معاني المفردات الآتية:

(يَتَنَاجَى ـ تَخْتَلِطُوا ـ يُحْزِنَهُ).

٢ـ ما علة النهي في هذا الحديث؟

٣ـ تكلم عن الأدب العالي والخُلُق السامي الذي يدعو إليه الحديث.

٤ـ ما الحالات التي يجوز فيها التناجي والتحدث سرًّا بين اثنين منفردين دون الثالث؟

٥ـ اشرح الحديث بأسلوبك شرحا موجزا.

٦ـ اذكر ما يرشد إليه الحديث.

***

الحديث الثامن عشر
سعة رحمة اللَّه عز وجل

عن أبي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ».

معاني المفردات:

«جَعَلَ اللَّهُ»: أي: خلق، وأوجد، أو قدر.

«يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ»: من التفاعل الذي يشترك فيه الجماعة، أي: يرحم بعضهم بعضًا.

«حَافِرَهَا»: يقَع على الخَيْل، والبِغَال، والحُمُر، والحافر للفرس، كالظلف للشاة وهو ما يقابل القدم من الإنسان.

المباحث العربية:

«جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ»: وفي رواية: «فِي مِائَةَ جُزْءٍ»، فقيل: لعل «في» زائدة، أو متعلقة بمحذوف، وفيه نوع مبالغة؛ إذ جعلها مظروفًا لها معنى، بحيث لا يفوت منها شيء، وقيل: يحتمل أن يكون سبحانه وتعالى لمـَّا مَنَّ على خلقه بالرحمة جعلها في مائة وعاء فاهبط منها واحدًا للأرض.

«وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا» القياس: «وَأَنْزَلَ إِلَى الأَرْضِ» لكن حروف الجرّ يقوم بعضها مقام بعض، أو فيه تضمين «أَنْزَلَ» معنى «وَضَعَ»، والغرض

منه المبالغة، يعني: أنزل رحمة واحدة منتشرة في جميع الأرض، وفي رواية: «أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ، وَالإِنْسِ، والبَهَائِمِ، وَالْهَوَامِّ».

«أَنْ تُصِيبَهُ»: «أَنْ» مصدرية، أي: خشية الإصابة.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ بيان أن الحصر على سبيل التمثيل.

٢ـ المراد بالمائة.

٣ـ سر تخصيص الفَرَس بالذكر.

١ـ بيان أن الحصر على سبيل التمثيل.

ـ رحمة اللَّه غير متناهية لا مائة ولا مائتان؛ لكنها عبارة عن القدرة المتعلقة بإيصال الخير، والقدرة صفة واحدة، والتَّعَلُّقُ غيرُ مُتَنَاهٍ فَحَصْرُهُ في مائة على سبيل التمثيل تسهيلًا للفهم، وتقليلًا لما عندنا، وتكثيرًا لما عنده سبحانه وتعالى.

٢ـ المراد بالمائة في الحديث:

ـ وقد يكون المراد «بالمائة» التكثير والمبالغة، أو يُراد بها الحقيقة، فيحتمل أن تكون مناسبة لعدد دَرَجِ الجنة، والجنة أعلى درجات الرحمة، فكانت كل رحمة بإزاء درجة، وقد ثبت أنه لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة اللَّه، فمن نالته منها رحمة واحدة، كان أدنى أهل الجنة منـزلة، وأعلاهم من حَصُلَت له جميع الأنواع من الرحمة.

٣ـ سر تخصيص الفَرَس بالذكر.

- وخَصَّ ﷺ الفَرَسَ بالذِّكْرِ؛ لأنها أشد وأقوى الحيوانات المألوفة التي يشاهد المخاطبون حركتها مع ولدها؛ ولِمَا في الفرس من الخفة، والسرعة في التنقل، ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها إلى ولدها.

- والتراحم والتعاطف بين الخلق هو سر جَعْلِ هذه الرحمة في الأرض كما أوضحته رواية عطاء عند مسلم: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا»، وفي حديث سلمان: «فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ»، ثم ادَّخَر اللَّه تعالى بقية المائة في الآخرة تفضلًا منه سبحانه وتكرمًا كما في الحديث: «وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وفي رواية: «وَأَخَّرَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَكْمَلَهَا اللَّهُ بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ».

ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ الحث على التراحم بين الناس.

٣ـ رحمة اللَّه غير متناهية، ولا حصر لها.

٤ـ الحث على الإيمان باللَّه عز وجل.

٥ـ اتساع الرجاء في الرحمة المدخرة في الآخرة.

٦ـ التراحم والتعاطف بين المخلوقات جزء من رحمة اللَّه تعالى.



الأسئلة

١ـ بين معاني الكلمات الآتية:

(جَعَلَ ـ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ ـ حَافِرَهَا).

٢ـ ما سر التعبير بحرف الجر (في) في قوله «وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا»؟

٣ـ لماذا خَصَّ ﷺ الفَرَسَ بالذِّكْرِ؟

٤ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٥ـ اذكر ما يرشد إليه الحديث.

❊ ❊ ❊



الحديث التاسع عشر
الرحمة بالصبيان

عَنْ عَائشةَ رضي الله عنها قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إلى النَّبي ﷺ فقَالَ: أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُم، فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكِ الرَّحْمَةَ»؟

معاني المفردات

«جَاءَ أَعْرَابِيٌّ»: الأعرابي: من يسكن البادية، ومقابله: الحضري، وهو من يسكن الحضر.

«فقال: أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟» بهمزة الاستفهام، وفي بعض الروايات بحذفها، وعند الإمام مسلم: «فَقَالَ: نَعَمْ»، قال: «فَمَا نُقَبِّلُهُم»، والصبي: هو الغلام، ويُقَال للأنثى: صبية.

المباحث العربية:

(أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكِ الرَّحْمَةَ): الهمزة الأولى: للاستفهام الإنكاري الإبطالـي، لا التوبيخي خلافا لبعضهم.

والواو: للعطف على مقدر بعد الهمزة أي: أأجعل الرحمة في قلبك، وأملك لك أن نزع اللَّه من قلبك الرحمة.

«أَنْ نَزَعَ»: مفعول «أَمْلِكُ» على حذف مضاف أي: لا أقدر أن أجعل الرحمة في قلبك بعد أن نزعها اللَّه تعالى منه.

وقيل: «أَنْ» مصدرية، ويُقدَّر مضاف، أي: أملك لك دفع نزع اللَّه تعالى من قلبك الرحمة، ويحتمل أن يكون مفعول «أَمْلِكُ» محذوفًا، و«أَنْ نَزَعَ»: في موضع



نصب على المفعول لأجله، على أنه تعليل للنفي المستفاد من الاستفهام الإنكاري، والتقدير: لا أملك وضع الرحمة في قلبك؛ لأنَّ اللَّه تعالى نزعها منك، أي: انتفى ملكي لذلك؛ لنزع اللَّه تعالى إياها من قلبك.

ويُروى «إِنْ نَزَعَ» بكسر الهمزة شرطًا، وجزاؤه محذوف، أي: إن نزع اللَّه تعالى من قلبك الرحمة لا أملك ردَّها لك، لكن قال الحافظ ابن حجر: إنها بفتح الهمزة في الروايات كلها.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ بيان رحمة النبي ﷺ بالأحفاد.

٢ـ تعيين الأعرابي المذكور في الحديث.

٣ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ بيان رحمة النبي ﷺ بالأحفاد:

ـ يُبَيِّنُ هذا الحديث الشريف رحمة النبي ﷺ بأحفاده، وتقبيله لهم؛ رحمةً وشفقةً، حيث جاءه أعرابي ذات يوم فرآه يُقَبِّل «الحسن، والحسين»، فتعجب من هذا المنظر وسأل سؤال المستنكر: أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فقال له النبي ﷺ: نعم، فرد الأعرابي قائلًا: فَمَا نُقَبِّلُهُم، فأجابه ﷺ: لا أقدر أن أجعل الرحمة في قلبك بعد أن نزعها اللَّه تعالى منه.

٢ـ تعيين الأعرابي المذكور في الحديث:

ـ وقد بيَّن الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تعيين الأعرابي بقوله: يحتمل أن يكون هو «الأقرع بن حابس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، ووقع مثل ذلك: لعيينة بن حصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» بسند رجاله ثقات.



٣ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ مشروعية تقبيل الصبي من باب الرحمة والشفقة.

٣ـ تقبيل النبي ﷺ الحسن والحسين رضي الله عنهما.

٤ـ من لا يرحم لا يرحم.

* * *

الأسئلة

١ـ ما المراد «بالأعرابي»؟ وما الوجه الإعرابي للهمزة والواو في قوله: «أو أملك»، وما إعراب قوله «أن نزع»؟

٢ـ اشرح الحديث بأسلوبك شرحًا موجزًا.

٣ـ اذكر ما يرشد إليه الحديث.

* * *



الحديث العشرون
حُسْنُ الظَّنِّ باللَّه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

معاني المفردات:

«عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»: أي: إن ظن أَنِّي أعفو عَنهُ وأغفر لَهُ فَلهُ ذَلِك، وَإِن ظن الْعقُوبَة والمؤاخذة فَكَذَلِك.

«وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي»: أَي: هي معية خصوصية، أي: معه بالرحمة، والتوفيق والهداية والرعاية والإعانة، فهي غير المعية المعلومة من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1] فإن معناها: المعية بالعلم، والإحاطة.

«فَإِنْ ذَكَرَنِي»: أي: بالتنزيه والتقديس سرًا في نفسه ذكرته بالثواب والرحمة سرًا.

«فِي مَلإٍ»: أي: في جمَاعَة وهم الملأ الأعلى من الملائكة.

«تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ»: أي: مقدار شبرٍ، مَا بَيْنَ أَعلى الإِبهام، وأَعلى الخِنْصر.

«ذِرَاعًا»: أي: مقدار ذراع، وهو مَا بَيْنَ طرَف المِرْفق إِلى طرَفِ الإِصْبَع الوُسْطى، والمراد: القرب، وليس المقصود حقيقة الذراع.

«بَاعًا»: أي مقدار باع، وهو طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره، أو هوَ مَا بَيْنَ الكفَّيْن إِذا بسَطْتَهما.

---

(١) سورة الحديد. الآية: ٤.



«هَرْوَلَةً»: أي: إسراعًا، وهوَ بَيْنَ المُشْيِ والعَدْو.

المباحث العربية:

«هَرْوَلَةً» مجاز على سبيل المشاكلة حيث ذكر «المَشْي» من العبد، فحسن أن يأتى بلفظ يُشَاكل المشي، فكانت «الهَرْوَلَة».

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ الموازنة بين الخوف والرجاء.

٢ـ سر التعبير بالذراع والباع والهرولة.

٣ـ ما يرشد إليه الحديث

١ـ الموازنة بين الخوف والرجاء:

ـ اللَّه تبارك وتعالى رحيم بعباده، وهو سبحانه عليم بضعفهم وعجزهم، ومن هنا يبين الحق سبحانه في هذا الحديث القدسي: أَنَّه إنْ ظنَّ العبد بربه العفو عنه والغفران فله ذلك، وإنْ ظنَّ أنَّ اللَّه سيعاقبه فله ظنه ذلك أيضًا.

ـ في هذا الحديث ترجيح لجانب الرجاء على الخوف، وقَيَّدهُ بعض أهل التحقيق بالذي حضرته الوفاة، وأما قبل الاحتضار، فهناك عدة أقوال:

أرجحها: الاعتدال بين هذين المقامين مقام الخوف والرجاء، فينبغي أن يجتهد بقيام وظائف العبادات مُوقنًا بأنَّ اللَّه تعالى يقبله ويغفر له؛ لأَنَّه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد.



٢ـ سر التعبير بالذراع والباع والهرولة:

ـ وَرَدَ في الحديث التعبير بالذراع، والباع، والهرولة وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ سُرْعَةِ إِجابة اللَّهِ عز وجل، وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْعَبْدِ، ولُطْفه، وَرَحْمَتِهِ، ومَثَلٌ لقُرْب أَلطاف اللَّهِ مِنَ الْعَبْدِ، إِذا تقرَّب إِليه بالإِخْلاصِ، والطاعةِ، وهذه الإطلاقات ـ أي: الذراع ـ والباع ـ والهرولة، وأشباهها مستحيلة على اللَّه على سبيل الحقيقة.

ـ يرشدنا هذا الحديث إلى أنَّ مَنْ تقرب إلى اللَّه بطاعة قليلة يجازيه اللَّه بمثوبة كثيرة، وكلما زاد العبد في الطاعة زاد اللَّه له في الثواب، وإنْ أَدَّى العبد الطاعة على التأني فإنَّ مثوبة اللَّه سبحانه ورحمته تكون أسرع وأقرب.

ـ في هذا الحديث جواز إطلاق «النفس» على «الذات» فهو إذن شرعي في إطلاقها عليها.

٣ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ ينبغي للمؤمن أن يحسن الظن بربه فيطمع في رحمته.

٣ـ بيان فضل اللَّه ورحمته وواسع عفوه وكرمه.

٤ـ بيان سرعة المثوبة وقربها من الإنسان الطائع.

٥ـ المؤمن يتقلب بين الرجاء والخوف.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

١ـ اذكر معاني الكلمات الآتية:

(ملأ ـ ذراعًا ـ باعًا ـ هَرْولة).

٢ـ هل المقصود بالذراع والباع والهرولة الحقيقة أم المجاز؟

٣ـ هل الحديث يدل على ترجيح لجانب الرجاء على الخوف؟ وضح ذلك.

٤ـ اشرح ذلك بأسلوبك.

٥ـ اذكر ما يرشد إليه الحديث.

❊ ❊ ❊

الحديث الحادي والعشرون

محبة لقاء اللّٰه تعالى

عنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهَّ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ». قَالَتْ عَائِشَةُ، أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، وَأَحَبَّ الله لِقَاءَهُ. وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ الله لِقَاءَهُ».

معاني المفردات:

«حَضَرَهُ المَوْتُ»: أي: ساعة الوفاة.

«فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ»: أي: مما يستقبله بعد الموت.

المباحث العربية:

«مَنْ أَحَبَّ»: «مَنْ»: هنا شرطية. وقيل: إنها موصولة.

«لِقَاءَ اللَّهِ»: مصدر مضاف للمفعول.

«لِقَاءَهُ»: مضاف له، أو للفاعل.

- أظهر لفظ الجلالة «اللَّهِ» في قوله: «أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ»، وقوله: «كَرِهَ الله لِقَاءَهُ» تفخيمًا وتعظيمًا، وتلذذًا بِذِكْرِهِ عز وجل، ولئلا يتحد المبتدأ والخبر في الصورة، فيتوهم عود الضمير على الموصول «مَنْ»، وهو فاسد.



«وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ»: بتشديد «لَكِنَّ»، ونصب «الْمُؤْمِنَ»، وفي نسخة بالتخفيف، ورفع «الْمُؤْمِنُ».

«قَالَتْ عَائِشَةُ، أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ»: «أَوْ» هنا للشك، وفي بعض الروايات الجزم بأنَّ عائشة رضي الله عنها هي القائلة: «إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ».

الشرح والبيان:

١ـ بيان محبة العبد للقاء اللَّه.

٢ـ بيان معنى محبة اللَّه لقاء عبده!

٣ـ التوفيق بين هذا الحديث والأحاديث الأخرى في هذا الباب.

٤ـ بيان ما يرشد إليه الحديث.

١ - بيان محبة العبد للقاء اللَّه:

ـ قال الإمام الخطابي: محبة اللقاء: إيثار الآخرة على الدنيا، ولا يُحب طول القيام فيها؛ لكنه يستعد للارتحال عنها، واللقاء جاء على وجوه منها: الرؤية، ومنها: البعث، قال اللَّه تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾[1] أي بالبعث، ومنها الموت كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ﴾[2].

ـ وقال ابن الأثير: المراد باللقاء المصير إلى الدار الآخرة، وطلب ما عند اللَّه تعالى وليس الغرض منه الموت؛ لأنَّ كُلًّا يكرهه؛ فمَنْ ترك الدنيا، وأبغضها أحبَّ لقاء اللَّه، ومَنْ آثرها، وركن إليها كَرِهَ لقاءَ اللَّه.

(١) سورة الأنعام. الآية: ٣١.
(٢) سورة العنكبوت. الآية: ٥.



٢ـ بيان معنى محبة اللَّه لقاء عبده!

ومحبة اللَّه لقاء عبده: إرادة الخير له، وإنعامه عليه، فإن قُلْتَ: الشرط لا بدَّ أنْ يكون سببًا للجزاء، والأمر هنا بالعكس، فالجواب: أنَّ مثله يُؤوّل بالإخبار أي: مَنْ أحبَّ لقاء اللَّه أخبره اللَّه بأنَّ اللَّهَ أَحبَّ لقاءه، وكذا كراهة اللقاء.

٣ـ التوفيق بين هذا الحديث والأحاديث الأخرى في هذا الباب:

ـ ظاهر الحديث أنَّ المراد بـ «لِقَاء اللَّهِ» الموت، وليس كذلك؛ لأنَّ لقاءَ اللَّه فُسِّر في الحديث بغير الموت، ففيه: «إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ...»، ويدل له قوله ﷺ في رواية أخرى: «وَالْمَوْتُ دُونَ لِقَاءِ اللَّهِ»، لكن لمَّا كان الموت وسيلة إلى لقاء اللَّه عبّر عنه بـ «لِقَاء اللَّهِ»؛ لأنه لا يصل إليه إلا بالموت، قال بعضهم: الموت جِسْرٌ يُوَصِّل الحبيبَ إلى حبيبه.

ـ ورد في حديث حُمَيْد عن أنسٍ عند الإمام أحمد، والنَّسائيِّ، والبَزَّار: «وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا احْتَضَرَ جَاءَهُ الْبَشِيرُ مِنَ اللَّهِ عز وجل فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ عز وجل؛ فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَأَحبَّ لِقَاءَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، قَالَ: فَأَكَبَّ الْقَوْمُ يَبْكُونَ، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكُمْ؟» فَقَالُوا: إِنَّا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ إِذَا حَضَرَ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[1]، فَإِذَا بُشِّرَ بِذَلِكَ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لِلِقَائِهِ أَحَبُّ»، وفي حديث عائشة عند عَبْدِ بنِ حُمَيْدٍ مَرْفُوعًا: «إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا قَيَّضَ لَهُ مَلَكًا قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَامٍ، يُسَدِّدُهُ، وَيُوَفِّقُهُ حَتَّى يُقَالَ: مَاتَ بِخَيْرٍ مَا كَانَ عَلَيْهِ،

(١) سورة الواقعة. الآيتان: ٨٨، ٨٩.



فَإِذَا حُضِرَ وَرَأَى ثَوَابَهُ، اشْتَاقَتْ نَفْسُهُ، فَذَلِكَ حِينَ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ شَرًّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَامٍ شَيْطَانًا، فَأَضَلَّهُ وَفَتَنَهُ، حَتَّى يُقَالَ: مَاتَ بِشَرِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ، فَإِذَا حُضِرَ وَرَأَى مَا أَعَدَّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ، جَزِعَتْ نَفْسُهُ فَذَلِكَ حِينَ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ».

ـ يدل هذا الحديث على أنَّ محبة لقاء اللَّه لا تدخل في النهي عن تمنى الموت؛ لأنها ممكنة مع عدم تمنيه؛ لأنَّ النَّهيَ محمول على حال الحياة المستمرة، أما عند الاحتضار، والمعاينة فلا تدخل تحت النهيِّ، بل هي مستحبة.

٤ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ الحث على الأعمال الصالحة التي تُقَرِّبُ العبدَ من رَبِّه.

٣ـ محبة لقاء اللَّه لا تتعارض مع النهي عن تمني الموت.

٤ـ الجزاء من جنس العمل.

❊ ❊ ❊



الأسئلة

١ـ ما معنى «حَضَرَهُ الْمَوْتُ» ـ «فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ»؟

٢ـ بين إعراب ما يأتي:

(مَنْ أَحَبَّ ـ لِقَاءَ اللَّهِ ـ لِقَاءَهُ).

٣ـ اشرح الحديث بأسلوبك شرحًا موجزًا.

٤ـ ما معنى محبة العبد لقاء اللَّه؟

٥ـ ما معنى محبة اللَّه لقاء عبده؟

٦ـ كيف توفِّق بين الأحاديث الواردة في محبة لقاء اللَّه، وكراهية تمني الموت؟

٧ـ اذكر ما يرشد إليه الحديث.

* * *



الحديث الثاني والعشرون
حُبُّ الإنسان المال

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِـنْ مَـالٍ لَابْتَغَـى ثَالِثًـا، وَلَا يَمْلَأُ جَـوْفَ ابْـنِ آدَمَ إِلَّا الـتُّرَابُ، وَيَتُـوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ».

معاني المفردات:

«وَادِيَانِ»: تثنية «وَادٍ»: وهو المكان الواسع بين جبلين يكون منفذا للسيل والجمع أودية. «لَابْتَغَى ثَالِثًا»: أي: لطلب واديًا ثالثًا.

«جَوْفَ ابْنِ آدَمَ»: الجوف: البطن، وهو هنا كناية عن الموت، والمعنى أنه لا يشبع من الدنيا حتى يموت.

«وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ»: أي: أنَّ اللَّه يقبل رجوع العبد عن الذنب إذا أقلع عنه.

المباحث العربية:

«وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ»: كناية عن الموت.

«وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ»: وقعت هذه الجملة موقع الاستدراك، فكأنَّه قَالَ: حُبُّ المال جُبِلَ عليه الإنسان، ولكنْ يُمْكِنُ تهذيبه بتوفيق اللَّه لمن يريد.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ بيان محبة الإنسان للمال حبًّا شديدًا.



٢ـ ذم الحرص على الدنيا.

٣ـ سر التعبير بقوله: ويتوب اللَّه على من تاب.

٤ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ بيان محبة الإنسان للمال حبًّا شديدًا:

ـ يُبَيِّنُ النبيُّ ﷺ أن الإنسان مجبول على حب المال حُبًّا شديدًا، وأنَّه لو رُزِقَ بواديين بين جبلين من المال، لطلب وتمنى أن يكون له وادٍ ثالث، جاء في رواية أخرى: «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدمَ أُعْطِيَ وادِيًا مَلآن مِنْ ذهب؛ أحبَّ إليْهِ ثانِيًا، وَلَوْ أُعْطِيَ ثانيًا؛ أَحَبَّ إليه ثالثًا، ولا يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلّاً التُّراب»، وليس المقصود من هذه التعبيرات الحقيقة، بل هو كِنَاية عن الموت لاستلزامه الامتلاء من التراب؛ فكأنَّه قَالَ: لا يشبع الآدمي من الدنيا حتى يموت، ويُمْلَأ جوفُهُ من تراب قبره.

٢ـ ذم الحرص على الدنيا:

ـ والمقصود من هذا الحديث ذم الحرص على الدنيا، والتنفير من الشَّرَه على الازدياد؛ ولذا آثر أكثر السلف الصالح التقليل من الدنيا، والقناعة والرضا باليسير منها.

ـ قال بعض العلماء: يمكن أن يُقَال: معناه أنَّ بني آدم مجبولون على حب المال، والسعي في طلبه، وأنَّه لا يَشْبَعُ منه إلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّه تعالى ووفقه لإزالة هذه الجِبِلَّةِ المركوزة فيه عن نفسه، وقليل ما هم فوضْعُ «وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ» موضعه إشعارٌ بأنَّ هذه الجِبِلَّةِ المركوزة فيه مذمومة، جارية مجرى الذنب، وأنَّ إزالتها مُمْكِنَةٌ، ولكن بتوفيق اللَّه تعالى وتسديده قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١]، فإضافة الشُّح إلى النفس دلالة على أنهَّا

(١) سورة الحشر. الآية: ٩.



غريزة فيها، وبَيَّن أنَّ إزالة الشح من النفس بقوله تعالى: ﴿يُوقَ﴾، ورتَّب عليه قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

ـ ذَكَرَ النبيُّ ﷺ ابنَ آدم تلويحًا إلى أنَّه مخلوق من التراب، ومن طبع التراب القَبْض، واليَبْس، فيمكن إزالته بأنْ يُمْطِرَ اللَّهُ تعالى عليه السَّحَابَ من غمائم توفيقه؛ فيثمر حينئذ الصفات الزكية، والخصال المرضية ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾[1]، فمن لم يتداركهُ التوفيق، وتُرِكَ وحِرْصَهُ لم يَزْدَد إلَّا حِرصًا، وتهالُكًا على جمع المال.

٣ـ سر التعبير بقوله: ويتوب اللَّه على من تاب:

ـ وعَبَّر النبيُّ ﷺ في نهاية الحديث بقوله: «وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ» ليُبَيِّنَ أنَّه يمكن الاستدراك والرجوع، وإنْ كان ذلك عسيرًا صعبًا على النفس؛ لشدة حُبِّها للمال؛ ولكنَّه ليسير على من يَسَّرَهُ اللَّهُ عليه، فاللهَ تعالى يقبلُ التوبةَ مِن الحرصِ المذمومِ، وغيره من المَذْمُومَات، وهو الذي يُوَفِّقُ للتوبة، ويعين عليها.

٤ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ أن الإنسان مجبول على حب المال.

٣ـ أن غريزة حب المال يمكن تهذيبها.

٤ـ ذم الحرص على الدنيا، والافتتان بمتاعها الزائل.

٥ـ توفيق اللَّه للعبد الطائع الذي يسعى لتهذيب نفسه.

٦ـ الحث القناعة وعدم الحرص على الدنيا.

(١) سورة الأعراف. الآية: ٥٨.



الأسئلة

١ـ اذكر معاني الكلمات الآتية:

(وَادِيَانِ ـ لاَبْتَغَى ـ جَوْف ابْنِ آدَمَ).

٢ـ لِمَ عَبَّر النبيُّ ﷺ في نهاية الحديث بقوله: «وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ»؟

٣ـ ما السِّرُّ في تعبيره ﷺ بقوله: «لابن آدم»؟

٤ـ اشرح الحديث بأسلوبك شرحًا وافيًا.

٥ـ اذكر ما يرشد إليه الحديث.

❊ ❊ ❊

الحديث الثالث والعشرون
بيان رحمة اللّه بعباده

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَتْ، أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ، أَوْ تَكَلَّمْ».

معاني المفردات:

«تَجَاوَزَ»: أي: عدم المؤاخذة والعقوبة.

«وَسْوَسَتْ»: الوسوسة: هي حديث النفس، و الشيطان بما لا نَفْعَ فيه، ولا خير.

«مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ»: أي: بالذي حَدَّثَتْ به.

المباحث العربية:

«أَوْ تَكَلَّمْ»: أصله «تتكلم»، وهو مـَجْزُومٌ.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ عفو اللّه تعالى وتجاوزه عن الأمة المحمدية.

٢ـ بيان ما يرشد إليه الحديث.

١ـ عفو اللّه تعالى وتجاوزه عن الأمة المحمدية.

ـ يبين النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم رحمة اللّه تعالى بهذه الأمة المحمديّة بأنَّه سبحانه تجاوز لأمته ما حَدَّثَتْ به أنفسها بغير اختيار؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥ﴾[1]، مَا لم تَعْمَل بالذِّي حَدَّثَتْ به نفسها، أو تتكلم به.

---

(١) سورة ق. الآية: ١٦.



والمراد بذلك أنَّ الوجود الذهنيّ لا أثر له، وإِنَّما الاعتبار بالوجود القوليِّ في القوليات، والعمليَّ في العمليات؛ لأنَّ ما حَدَّثَتْ به النفس؛ إمَّا أنْ يتحقق في الخارج باللسان، كالغيبة، والنميمة، والكذب، والقذف، وإمَّا أنْ يتحقق في الخارج بالجوارح الأخرى كالسرقة، والزِّنَا، وشرب الخمر، والقتل، فالمرادُ بالعمل هنا هو عمل الجوارح دون حديث النفس، فلا يُؤاخَذُ به العبد سواءً تَوَطَّن في النفس، أم لم يتوطن فيها.

٢ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ فضل اللَّه وواسع رحمته بعدم المؤاخذة بحديث النفس.

٣ـ عظم مكانة الأمة المحمدية، وعطاء اللَّه لها؛ لأجل نبيها.

٤ـ عدم العزم على المعصية يحول دون الوقوع فيها.

٥ـ المؤاخذة تقع على مَنْ عزم على المعصية وشرع فيها، لا مَنْ هَمَّ بها، ولم يتصل بها القول أو العمل.

***

الأسئلة

١ـ اذكر معاني الكلمات الآتية:

(تجَاوزَ ـ وَسْوَسْت ـ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ).

٢ـ هل الوجود الذهني يؤاخذ به العبد أم لا؟

٣ـ اشرح الحديث بأسلوبك شرحًا موجزًا.

٤ـ اذكر ما يرشد إليه الحديث.



الحديث الرابع والعشرون
ذم المفتخر بما ليس عنده

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي ضَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ».

معاني المفردات:

«الْمُتَشَبِّعُ»: المتكثر بأكثَر مما عنْده يتجمَّل، وَيَتَزَيَّنُ بِالْبَاطِلِ.

«بِمَا لَمْ يُعْطَ»: بالبناء للمجهول، أي: يقول أعطاني مالم يعطني، يتجمل بذلك.

«إِنَّ لِي ضَرَّةً»: أي: امرأة أخرى لزوجي وسميت ضرة إما لأنها تضرها، أو تريد ضررها.

«جُنَاحٌ»: أي إثم أو بأس.

«كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»: هو أن يلبس ثوبي وديعة، أو عارية يظن الناس أنهما له ولباسهما لا يدوم فيفتضح بكذبه، وأراد بذلك تنفير المرأة عما ذكرت خوفًا من الفساد بين زوجها وضَرَّتها فتورث بينهما البغضاء.

المباحث العربية:

«الْمُتَشَبِّعُ»: أصل التشبُّع: تَفَعُّل من الشِّبع، وهو الذي يظهر الشِّبع، وليس بشبعان، وكثيرًا ما تأتي هذه الصيغة بمعنى التعاطي كالتكبُّر، والتصنُّع.

«كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»: شبه بلابس ثوبي زُورٍ، أي: ذي زور، وهو الذي يتزيا بزي أهل الصلاح رياءً، وأضاف الثوبين إليه؛ لأنهما كالملبوسين، واستعير للمتحلي بفضيلة لم يُرْزَقها.



وأراد بالتثنية أنَّ المتحلي بما ليس فيه كمَنْ لبس ثوبي الزُّور، ارتدى بأحدهما، واتّزر بالآخر، فالإشارة بالإزار والرداء إلى أنَّه متصف بالزُّورِ مِنْ رأسِهِ إلى قَدَمِهِ.

ويحتمل أنْ تكون التثنية إشارة إلى أنَّه حصل بالتشبع حالتان مذمومتان؛ فُقْدَانُ ما يتشبع به، وإظهار الباطل.

وقيل: معناه المُظْهِر للشبع، وهو جائع كالمُـزَوِّر الكاذب، المـُتَلَبِّس بالباطل، وشبه الشبع بلبس الثوب بجامع أنَّهما يغشيان الشخص تشبيهًا حقيقيًّا، أو تخييليًّا.

- هل الثوبان محمولان على الحقيقة، أو على المجاز؛ على قولين:

فعلى الأول يكون معناه: أنَّه شبَّهها بمـَن أخذ ثوبين لغيره بغير إذنه، فلبسهما مظهرًا أنَّ له ثيابًا ليس مثلها للمظهر له.

وعلى الوجه الثاني: أنَّ ذِكْرَ الثوبين هنا كناية عن حاله ومذهبه، والعرب تُكَنِّي بالثوب عن حال لابسه، والمعنى: أنَّه بمنزلة الكاذب القائل ما لم يكن. وقيل: هو الرجل في الحيِّ تكون له هيئة، فإذا احتيج إليه في شهادة زور شهد بها، فلا يُرَدُّ لأجل هيئته، وحسن ثوبه، فأضيفت شهادة الزُّور إلى ثوبه؛ إِذْ كان سببها.

وقيل: هو أن يلبس قميصًا يَصِلُ بكُمِّهِ كُمًّا آخر يُرَى أنَّه لابسٌ قميصين.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ قصة ورود الحديث.

٢ـ بيان أن النهي عام يشمل الرجل والمرأة.



٣ـ حكم تَشَبُّع المرأة على ضرتها.

٤ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ قصة ورود الحديث:

ـ جاءت أسماء بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى النبيِّ وقالت: يا رسول اللَّه إن لي ضَرَّة، هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط، وسألته: هل يجوز لها أن تظهر لضُرتها: أنَّ زوجها «الزبير بن العوّام» قد مَكَّنَهَا، أو أعطاها من ماله أكثر مما تستحقه، أو أكثر مما أَعْطَى ضَرَّتها؛ افتخارًا عليها، وإيهامًا لها: أنَّها عنده أحظى منها، فأجابها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يقتضي المنع من ذلك.

٢ـ بيان أن النهي عام يشمل الرجل والمرأة:

ـ جاء نهيُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامًا يشمل المرأة يكون لها ضَرَّة، وتتظاهر وتتكاثر بما لم يُعْطِهَا زوجها؛ تَدَّعِي من الحُظوة عند زوجها بأكثر مما عنده، تريد بذلك غَيْظَ صاحبتها، وإدخال الحزن عليها، ويشمل أيضًا كُلَّ من يَدَّعِي ما ليس عنده يستطيل، ويتكبر به على غيره من خلق اللَّه تعالى.

٣ـ حكم تَشَبُّع المرأة على ضرتها:

ـ والحديث يدل على أنَّ تَشَبُّعَ المرأة على ضَرَّتها بما لم يُعْطِها زوجُهَا محرَّمٌ؛ لأَنَّه شُبِّهَ بمحرَّمٍ، وإنَّما كان ذلك مُحَرَّمًا؛ لأَنَّه تَصَرَّفَ في ملك غيره بغير إذنه، ورياء، وأذى للضرة من نسبة الزوج إلى أنَّه آثرها عليها، وهو لم يفعل، وكُلُّ ذلك مُحَرَّمٌ.



٤ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ ذم المفتخر بما ليس عنده.

٣ـ الحث على حسن العشرة.

٤ـ الحثّ على التواضع وحسن الخلق.

* * *

الأسئلة

١ـ بين معاني الكلمات الآتية:

(المُتَشَبِّع ـ ضَرَّةً ـ جُنَاح ـ ثَوْبَيْ زُورٍ).

٢ـ ما سِرُّ التعبير بقوله ﷺ: «كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»؟

٣ـ هل الثوبان محمولان على الحقيقة، أو على المجاز، ولماذا ثَنَّاهُمَا؟

٤ـ اشرح الحديث بأسلوبك شرحًا أدبيًّا موجزًا.

٥ـ اذكر ما يرشد إليه الحديث.

* * *

الحديث الخامس والعشرون
السكينة في الصلاة

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﵁ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ – إِذْ سَمِعَ جَلَبَةَ رِجَالٍ فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قَالُوا: اسْتَعجَلْنَا إِلَى الصَّلاةِ. قَالَ: «فَلا تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا».

معاني المفردات:

«جَلَبَةَ رِجَالٍ»: أي: أصواتهم المختلطة حالَ حركتهم.

«مَا شَأْنُكُمْ؟» أي: ما حالكم؟

«فَلا تَفْعَلُوا»: أي: فلا تفعلوا العجلة والإسراع.

«إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلاةَ»: أي إذا قصدتم وتحركتم لإتيانها.

«بِالسَّكِينَةِ»: أي: بالوقار.

«فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا»: أي: فإذا فعلتم ذلك فما أدركتم مع الإمام فصلوا معه.

«وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»: وما فاتكم من الصلاة مع الإمام فأكملوه وحدكم.

المباحث العربية:

«مَا شَأْنُكُمْ؟» «مَا» خبر مُقَدَّم، و«شَأْنُكُمْ» مبتدأ مُؤَخَّر.

«اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلاةِ»: السين والتاء للطلب، أي: طلبنا العجلة وقصدناها، أو للصيرورة أي: صرنا عجلين.

«فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ»: الفاء في جواب «إِذَا»، و«عَلَيْكُمْ» اسم فعل أمر بمعنى: الزْمُوا، والباء زائدة داخلة على المفعول به.



وفي رواية: «عَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ»: ويجوز رفع «السَّكِينَةُ» على أنها مبتدأ مُؤَخَّر، و«عَلَيْكُمْ» خبر مُقَدَّم.

وفي رواية: «فَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةَ» بالنَّصْبِ على الإِغراء.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ الأمر بحضور الصلاة بسكينة ووقار.

٢ـ الآداب التي تراعى عند الصلاة.

٣ـ بيان آراء الفقهاء في صلاة المسبوق.

٤ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ الأمر بحضور الصلاة بسكينة ووقار:

ـ سمع رسول اللَّه ﷺ أصوات وحركات أصحابه يَسْعَوْنَ ويُهَرْولون للحاق به في الصلاة، فلما سَلَّمَ من صلاته قال لهم: ما هذه الجلبة؟ قالوا: أسرعنا الخُطى لندرك أكبر قدر من الائتمام والفضيلة، فقال ﷺ: لا تعودوا لمثلها، ولا تَسْعَوْا عند إتيانكم الصلاة، ولكن ائتوها وعليكم الخشوع والوقار في مِشْيَتِكُم لها، فإن أحدكم حين يذهب إلى المسجد للصلاة، فخطواته كما لو كان في صلاة، له ثوابها، فما أدركتم مع الإمام فصلوا معه، وما فاتكم معه فأكملوه بعد سلام الإمام.

٢ـ الآداب التي تراعى عند الصلاة:

ـ يرشد النبي ﷺ في هذا الحديث أُمَّتَهُ إلى إتيان الصلاة بالسكينة والوقار، فأوصاهم بالتأني في الحركات، واجتناب العبث، والوقار يكون كذلك في الهيئة: كغض البصر، وخفض الصوت، وعدم الالتفات، ونحو ذلك.



٣ـ بيان آراء الفقهاء في صلاة المسبوق:

ـ جاء الحديث في أكثر الروايات بلفظ: «فَأَتِمُّوا»، وفي بعضها: «فَاقْضُوا»، وبه استدل الحنفية على أن ما أدركه المأموم مع الإمام هو آخر صلاته، فيستحب له الجهر في الركعتين الأخيرتين، وقراءة السورة مع الفاتحة.

وقال الشافعية: هو أولها، لكنه يقضي مثل الذي فاته من قراءة السورة مع الفاتحة في الرباعية، ولم يستحبوا إعادة الجهر في الركعتين الأخيرتين.

ـ استدل بعضُ العلماء بقوله ﷺ: «وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا» على أن من أدرك الإمام راكعًا لم تُحْسَب له تلك الركعة؛ لأنه قد فاته القيام والقراءة أيضًا، واختاره ابنُ خُزيمة، والسّبكيُّ.

بينما ذهب الجمهور إلى أنَّه قد أدرك الركعة لقوله ﷺ لأبي بكرة رضي الله عنه حين ركع دون الصفِّ: «زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلاَ تَعُدْ»، ولم يأمره بإعادة تلك الركعة.

٤ـ مايرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ صيانة المساجد عن ارتفاع الأصوات؛ لئلا تُشَوِّش على المصلين.

٣ـ الحث على الخشوع والوقار في الصلاة وحين الإتيان إليها.

٤ـ حصول فضيلة صلاة الجماعة بإدراك جزء من الصلاة.

٥ـ الحث على مراعاة آداب الصلاة والمسجد.

٦ـ إرشاد الإمام للمأمومين وتوجيههم إلى أحكام الدين.

***

الأسئلة

١ـ بين معاني الكلمات الآتية:

(جَلَبَةَ رِجَالٍ ـ السَّكِينَة ـ وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا).

٢ـ ما إعراب قوله ﷺ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» ـ «فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ»؟

٣ـ ما الذي تفيده السين والتاء في قولهم رضي الله عنهم: «اسْتَعْجَلْنَا»؟

٤ـ ما سبب ورود هذا الحديث؟

٥ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٦ـ اذكر بعض ما يُرشد إليه الحديث.

٧ـ ما المقصود بقوله: فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا؟ وما رأي الجمهور وابن خزيمة فيمن أدرك الإمام راكعًا؟ وعَلامَ استدل كل من الأحناف والشافعية من قوله فأتموا؟

* * *

الحديث السادس والعشرون
مِنْ وصايا الرسول ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلاَثٍ لاَ أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: «صَوْمِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاَةِ الضُّحَى، وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ».

معاني المفردات:

«أَوْصَانِي»: أي عَهدَ إليَّ وأمَرَني.

«خَلِيلِي»: أي: الذي تخَلَلَتْ محبَّتُه قلبي، أي: صارت في باطنه، والمقصود به النبي ﷺ ووضع خليلي مكان رسول الله ـ ﷺ ـ إظهارًا لغاية عطفه وشفقته.

«لَا أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ»: أي لا أتركهن إلى أن أموت.

المباحث العربية:

«صَوْمِ»: بالجر بدل من «ثَلاَثٍ»، وبالرفع خبر مبتدأ محذوف أي: «هي صوم...».

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ بنود الوصية النبوية لأبي هريرة رضي الله عنه.

٢ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ بنود الوصية النبوية لأبي هريرة رضي الله عنه.

ـ يُبَيِّن أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ خليله ﷺ أَمَرَه على سبيل الوصية والإرشاد إلى الخير بثلاث وصايا لن يتركَهُنَّ ما بقي على قيد الحياة:

الأولى: صوم ثلاثه أيام؛ وهى الأيام البيض الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر هجري؛ وذلك لتعويد النفس على الصوم، ليدخل في الصوم الواجب بنشاط، وأيضًا لينضم ثواب هذه الأيام إلى صوم رمضان، فيكون كثواب من صام الدهر؛ لأنَّ الحسنة بعشر أمثالها.

الثانية: صلاة الضحى، وأقلُّها: ركعتان في كل يوم يجزيان عن الصدقة التي على مفاصل الإنسان في كل يوم، وهي ثلاثمائة مفصل كما في حديث مسلم عن أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»، كما أنّ صلاة الضحى يتمرن المسلم بها على جنس الصلاة.

الثالثة: النوم على وتر؛ وذلك لئلّا يفوته الوتر ليلًا إنْ لم يُوتر قبل النوم؛ لأن الليل وقت الغفلة والكسل، فتطلب النفس فيه الراحة، وقد رُوي أنَّ «أبا هريرة» رضي الله عنه كان يختار درس الحديث بالليل على التهجد فأمره بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره أنْ لا ينام إلا بعد أنْ يُصليَ الوتر، ولم يأمر بذلك غيره من الصحابة كأبي بكر، وعمرَ رضي الله عنهما ولكن وردت وصيته بهذه الثلاث أيضًا لأبى الدرداء رضي الله عنه كما عند مسلم، ولأبي ذر رضي الله عنه كما عند النسائي فقيل: خَصَّهُم بذلك؛ لكونهم فقراءَ لا مالَ لهم، فوصَّاهم بما يليق بهم وهو الصومَ، والصلاةُ وهما من أشرف العبادات البدنية، ولما عَلِم من عادتهم عدمَ الوثوقِ باليقظة ليلًا وَصَّاهم بالوتر قبل النوم، أما من يثق بذلك فالتخيير في حقه أفضل.

٢ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ فضل صوم الأيام البيض من كل شهر.

٣ـ فضل صلاة الضحى.

٤ـ فضل صلاة الوتر.

٥ـ أهمية الوصية بالخير بين الأخلاء.

* * *

الأسئلة

١ـ بيِّن معاني الكلمات الآتية:

(أَوْصَانِي ـ خَلِيـلِي ـ لاَ أَدَعُهُنَّ).

٢ـ ما أقلُّ صلاة الضحى؟ وما فضلها؟

٣ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٤ـ اذكر بعض ما يُرشد إليه الحديث.

* * *

الحديث السابع والعشرون
ثواب مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّه

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ الله وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا».

معاني المفردات:

«فِي سَبِيلِ اللَّهِ»: أي: الجهاد، أو ابتغاء وجه اللَّه.

«بَعَّدَ الله وَجْهَهُ»: وفي رواية: «بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ»، والمراد: ذاته كلها.

«خَرِيفًا»: الخريف أحد فصول السنة، والمراد هنا سنة كاملة، أي: سَنَة.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ فضيلة الصوم في سبيل اللَّه.

٢ـ بيان الجواب على اختلاف الروايات في هذا الحديث.

٣ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ فضيلة الصوم في سبيل اللَّه:

ـ يرشدنا النَّبيُّ ﷺ إلى فضيلة الصوم في سبيل اللَّه، سواء كان في وقت الجهاد، أو في غيره من المواطن، وأنَّ جزاء الصائم المُخْلِص أنَّ اللَّه يُبَاعِدُ بينه، وبين النار مسافة شاسعة، قال الإمام النووي: «في هذا الحديث بيانُ فضيلة الصيام في سبيل اللَّه، وهو محمولٌ على مَنْ لا يَتَضَرَّر به، ولا يُفَوِّت به حقًا، ولا يَخْتَلُّ به قِتَالُهُ، ولا غيره من مُهِمَّات غَزْوِهِ، ومعناه: المباعدة عن النَّار، والمعافاة منها.



٢ـ بيان الجواب على اختلاف الروايات في هذا الحديث:

ـ تعدَّدت الروايات في بيان العدد المترتب على الثواب؛ فورد في هذا الحديث بلفظ: «بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»، وورد في رواية أبي يَعْلَى، من حديث مُعَاذِ بنِ أَنَسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُتَطَوِّعًا فِي غَيْرِ رَمَضَانَ بَعُدَ مِنَ النَّارِ مِائَةَ عَامٍ سَيْرَ الْمُضَمَّرِ الْمُجِيدِ»[1]، وفي رواية الطبراني، عن أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، وفي رواية من حديث أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «تباعَدَتْ مِنْهُ جَهَنَّمُ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةَ عام».

واستشكل بعض العلماء اختلاف هذه الروايات في العدد المترتب على الثواب، وأُجيب عن هذا الاختلاف بعدة أجوبة:

- ـ أنَّ المـُعوَّل، والمـُعْتَمَدَ عليه هي رواية «سَبْعِينَ خَرِيفًا» فهي متفق عليها، والذي ورد في «الصحيح» أولى.
- ـ أو أنَّ اللَّه أَعْلَمَ نبيه ﷺ بالأدنى، والأقل، ثم أَعْلَمَه بالأكثر شيئًا فشيئًا على التدريج.
- ـ أو أنَّ ذلك بحسب اختلاف أحوال الصائمين في كمال الصوم ونُقْصانه.

٣ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ فضل من صام يومًا في سبيل اللَّه تعالى.

(١) المُضَمَّرُ: هو الَّذِي يُضَمِّرُ خَيْلَه لغزْوٍ، أَوْ سِباقٍ. وتَضْمِير الخَيل: هُوَ أَنْ يُوَاظِبُ عَلَيْهَا بالعَلَف حَتَّى تسمَن، ثُمَّ لَا تُعْلف إِلَّا قُوتاً لتَخفَّ. والمُجيد: صاحبُ الجِياد. والمعْنَى: أَنَّ اللَّهَ يُباعِدهُ مِنَ النَّارِ مَسَافَةَ مائة سَنة تقطعُها الخيلُ المُضَمَّرَة الجِيادُ رَكْضًا.

٣ـ أنَّ الثواب عام يشمل الصائم المجاهد، وغيره.

٤ـ عظم ثواب الجهاد في سبيل اللَّه تعالى.

٥ـ بيان فضل اللَّه ورحمته لعباده الطائعين.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

١ـ اذكر معاني المفردات الآتية:

(فِي سَبِيلِ اللَّهِ ـ خَرِيفًا).

٢ـ كيف تجيب عن استشكال بعض العلماء لاختلاف ألفاظ الحديث؟

٣ـ هل الصيام المراد في الحديث هو ما يكون في الجهاد، أم لا؟ وضح ذلك.

٤ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٥ـ اذكر ما يرشد إليه الحديث.

❊ ❊ ❊



الحديث الثامن والعشرون

فضل الصوم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ. وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ، أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ -تَعَالَى- مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا»

معاني المفردات:

«الصِّيَامُ جُنَّةٌ»: بضم الجيم وتشديد النون، أي: وقاية، وسُتْرة. قيل: من المعاصي؛ لأنه يَكْسَرُ الشهوة ويُضعفها. وقيل: من النار؛ لأنَّه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات، وفيه تلازم الأمرين؛ لأنَّه إذا كفَّ نفسه عن المعاصي في الدنيا، كان سترًا له من النار يوم القيامة.

«فَلَا يَرْفُثْ»: أي: لا يفحش الصائم في الكلام.

«وَلَا يَجْهَلْ»: أي: لا يفعل فعل الجُهّال، كالصياح، والسخرية، وهذا ممنوع على الإطلاق، لكنَّه يتأكد بالصوم.

«وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ»: أي دافعه، ونازعه، ويكون بمعنى شاتمه، ولاعَنَهُ، وقد جاء القتل بمعنى اللعن.

«فَلْيَقُلْ»: له بلسانه تحذيرًا له من انتهاك حرمة الصائم، أو بقلبه؛ لِيُذَكِّرَ نفسَهُ لِتَنْكَفَّ عن جواب المشاتمة، أو بلسانه، وقلبه معًا.



«إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ»: فإنَّه إذا قال ذلك أمكن أنْ يَكُفَّ عنه، وَإِلَّا دفعه بالأخف فالأخف، وظَاهِرُ كَوْن الصَّوم جُنَّة: أنْ يَقِيَ صاحِبَهُ مِنْ أَنْ يُؤذِيَ كَمَّا يَقِيَهُ أَنْ يُؤْذَى.

«لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ»: بضم الخاء أي: تَغَيُّر رائحة فم الصائم؛ لخلاء معدته من الطعام.

«يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ»: أي: شهوة الجماع؛ لعطفها على الطعام، والشراب، أو من عطف العام على الخاص، لكن وقع عند ابن خزيمة: «وَيَدَعُ زَوْجَتَهُ مِنْ أَجْلِي»، فهو صريح في الجماع، وأصرح منه رواية: «مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْجِمَاعِ».

المباحث العربية:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»: إنْ شَاءَ أَبْقَاهَا، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَهَا، وهو قَسَمٌ كان يُقْسِمُ به كثيرًا، وأَقْسَمَ هنَا تَأكيدًا.

«الصِّيَامُ لِي»: جملة مستأنفة وقعت موقع البيان، لسبب الحكم المذكور، وجاء في بعض الروايات، «فَالصِّيَامُ لِي» بزيادة الفاء التي تفيد السببية.

«أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»، قيل: هو مجاز واستعارة؛ لأنه جرت عادتنا بتقريب الروائح الطيبة منا؛ فاستعير ذلك لتقريبه من اللَّه -تعالى-.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١- فوائد الصوم.



٢ـ تعريف الصوم لغةً وشرعًا.

٣ـ آراء العلماء في معنى «خلوف فم الصائم».

٤ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ ـ فوائد الصوم:

ـ الصوم ربع الإيمان؛ لقوله ﷺ «الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ»، وقوله: «الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ»، شَرَعَهُ اللَّهُ سبحانه وتعالى لفوائد عظيمة؛ منها: كسر النفس، وقهر الشيطان، فالشِّبَعُ نهر يَرِدُهُ الشيطان، والجوع نهر يرِدُهُ الصابرون، ومنها: أنَّ الغَنِيَّ يعرف قدر نعمة اللَّه تعالى عليه، بإقداره على ما مُنِعَ منه كثير من الفقراء، من فضول الطعام، والشراب، والنكاح؛ فيرحمهم، ويواسيهم.

٢ـ تعريف الصوم لغةً وشرعًا:

ـ الصوم لغة الإمساك، وشرعًا: إمساك عن المفَطِّر جميع النهار على وجه مخصوص.

وكان فرض رمضان في شعبان في السنة الثانية من الهجرة.

٣ـ آراء العلماء في معنى «خلوف فم الصائم»:

ـ اختلف العلماء في معنى قوله: «لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عندَ اللَّه من ريحِ المِسْكِ» هل هو في الدنيا، أم في الآخرة؟

فقيل: في الآخرة خاصة، كما يدل له لفظ مُسْلِم، والنَّسائي: «أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وروى أبو الشيخ بإسناد فيه ضعف عن أنس مرفوعًا: «يَخْرُجُ الصَّائِمُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يُعْرَفُونَ بِرِيحِ أَفْوَاهِهِمْ، أَفْوَاهُهُمْ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».



وذهب ابن الصلاح إلى أن ذلك في الدنيا، واستدلّ بحديث جابرٍ مرفوعًا، وفيه: «وأما الثانية: إِنَّ خُلُوفَ أَفْوَاهِهِمْ حِينَ يُمْسُونَ أُطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

وقيل: طيبه عند اللَّه رضاه به وثناؤه؛ لأن استطابة الروائح من صفات الحيوان الذي له طبع يميل إلى الشيء؛ فيستطيبه، أو ينفر عنه فيستقذره، واللَّه سبحانه مُنـزَّهٌ عن ذلك مع أنَّه يَعْلَمُ الأشياء على ما هي عليه.

وقال ابنُ بَطَّالٍ: أي: أزكى عند اللَّه إذ هو تعالى لا يُوصَفُ بالشَّمِّ.

وقال ابن المـنُيِّر: لكنَّه يُوصَف بأنَّه تعالى عالمٌ بهذا النوع من الإدراك، وكذلك بقية المدركات المحسوسات يعلمها ـ تعالى ـ على ما هي عليه؛ لأنه خالقها ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ ...﴾[1].

وقيل: إنَّه تعالى يجزيه في الآخرة، حتى تكون نكهته أطيب من ريح المسك، أو أنَّ صاحب الخُلُوف يَنَالُ من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك عندنا.

ـ وقد يُقَال: لم كان خلوف فم الصائم أطيب عند اللَّه من ريح المسك، ودم الشهيد ريحه ريح المسك، مع ما فيه من المخاطرة بالنفس، وبذل الرُّوحِ؟

والجواب: أنَّ خلوف الصائم وهو أثر الصوم أطيب من أثر الجهاد؛ لأن الصوم أحد أركان الإسلام المشار إليها بقوله ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ»، وبأنَّ الجهادَ فرضُ كفاية، والصوم فرض عين، وفرض العين أفضل من فرض الكفاية، كما نص عليه الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) سورة الملك. الآية: ١٤.



ـ واختلف العلماء في المراد بقوله تعالى في الحديث القدسي: «الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» مع أن الأعمال كلها له - سبحانه - وهو الذي يجزئ بها.

فقيل: لأنَّ الصيام من بين سائر الأعمال ليس للصائم فيه حظ، أو لم يتعبد به أحد غيري، أو هو سرّ بيني، وبين عبدي يفعله خالصًا لوجهي، وفي «الموطأ»: (فَالصِّيَامُ) بفاء السببية، أي: بسبب كونه لي أنَّه يترك شهوته لأجلي.

ـ وإِضَافَةُ الْجَزَاءِ على الصيام إِلَى اللَّهِ تعالى دَلِيلٌ عَلَى فَضِيلَتِهِ وَعِظَمِ جَزَائِهِ، وقد عُلِمَ أَنَّ الكَرِيمَ إِذَا تَولَّى الإعطاءَ بنفسه كان في ذلك إشارة إلى تعظيم ذلك العطاء، وتفخيمه، ففيه مضاعفة الجزاء من غير عدد، ولا حساب.

ـ اتفق العلماء على أن المراد بالصائم الذي يُضَاعَفُ له «الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا» وزاد في رواية في «الموطأ»: «إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ»، هو مَنْ سَلِمَ صيامُهُ من المعاصي، وإلَّا فليس له هذه المـَزِيَّة، بل يَنْقُصُ ثوابُهُ.

ـ وأدنى درجات الصوم: الاقتصار على الكفِّ عن المُفْطِرَات، وأوسطها: أن يضم إليه كف الجوارح عن الجرائم، وأعلاها: أن يُضم إليهما كف القلب عن الوساوس.

٤ـ ما يرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ بَيَان عِظَم فضل الصوم والحث عليه.

٣ـ بَيَانٌ لِعِظَمِ فَضْلِ اللَّه وَكَثْرَةِ ثَوَابِهِ.

٤ـ إنَّ مضاعفة الحسنات تكون لمن سلم صومه من المعاصي، والآثام.



الأسئلة

١ـ بين معاني الكلمات الآتية:

(جُنَّةٌ ـ يَرْفُثْ ـ يَجْهَلْ ـ قَاتَلَهُ ـ لَخُلُوفُ).

٢ـ لِمَ كان خلوف فم الصائم أطيب عند اللّٰه من ريح المسك، ودم الشهيد ريحه ريح المسك، مع ما فيه من المخاطرة بالنفس، وبذل الرُّوحِ؟

٣ـ وضِّح المراد بقوله تعالى في الحديث القدسي: «الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ».

٤ـ اشرح الحديث بأسلوبك.

٥ـ اذكر ما يرشد إليه الحديث.

* * *



الحديث التاسع والعشرون
دعاء تفريج الكرب

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ».

معاني المفردات:

«الكَرْب»: هو غَمٌّ يأخذ النفس؛ فيُحْزِن القلب، ويضايقه.

«العَظِيمُ»: البالغ أقصى مراتب العظمة، الذي لا يتصوره عقل، ولا يُحِيط بكُنْهِهِ بصيرة.

«الحَلِيمُ»: الذي لا يستفزه غضب، ولا يحمله غيظ على استعجال العقوبة، والمسارعة إلى الانتقام.

المباحث العربية:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ»: «العَظِيمِ» بالجرِّ صفة للعرش. و«العَظِيمُ» بالرفع صفة للرَّب. قال بعض العلماء: وهو أولى من جَعْلِهِ صفة للعرش.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ بيان عظمة الدعاء الوارد في هذا الحديث.

٢ـ استشكال وجوابه.

٣ـ ما يرشد إليه الحديث.



١ـ بيان عظمة الدعاء الوارد في هذا الحديث:

ـ هذا حديث جليل ينبغي الاعتناء به، والإكثار منه عند الكرب، والأمور العظيمة، وصف فيه النبيُّ ﷺ العرْشَ بالعظمة - على رواية الجر - في قوله: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ»؛ لأن العرش أعظم الأجسام، وخلقه اللَّه تعالى مظلة لأهل السماء، وقبلة للدعاء.

ـ وقد وصفه ﷺ بالكرم في قوله: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»؛ لأن الرحمة تنـزل منه، أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين، وقُرِئ في سورة «المؤمنون»: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[1] بالرفع صفة للرب تعالى، وقد صدر هذا الثناء بالعظمة المستلزمة لكمال القدرة، والحِلم المستلزم لكمال الرحمة، وذكر الرب المناسب لكشف الكرب؛ لأنه مُقتضٍ للتربية، ووصفه بكمال ربوبيته الشاملة للعالم العلوي، والسفلي، والعرش الذي هو سقف المخلوقات، وأعظمها، فإذا علم القلب ذلك أوجبت له محبته، وإجلاله، فيحصل له من الابتهاج، واللذة، والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب، والهَمِّ، والغَمِّ، فإذا قابلت بين ضيق الكرب، وسعة هذه الأوصاف التي تضمنها هذا الحديث وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق، وخروج القلب منه إلى سعة البهجة، والسرور، وإنما تحصل هذه الأمور لمن أشرقت فيه أنوارها، وباشر قلبه حقائقها.

٢ـ استشكال وجوابه:

ـ قد يقول قائل: هذا ذِكْرٌ لا دعاء، والجواب: بأنَّه ذكر يُستَفتَحُ به الدعاء بكشف كربة، والذكر ثناء على اللَّه عزّ وجلّ، بجميل صفاته، وعظيم آلائه، وجليل

(١) سورة المؤمنون. الآية: ١١٦.



أسمائه، قال إِبْرَاهِيمُ النَّخعيُّ: كَانَ يُقَالُ إِذَا بَدَأَ الرَّجُلُ بِالثَّنَاءِ قَبْلَ الدُّعَاءِ اسْتُجِيبَ له، وَإِذَا بَدَأَ بِالدُّعَاءِ قَبْلَ الثَّنَاءِ كَانَ عَلَى الرَّجَاء، وقال الْحُسَيْنُ بْنُ الحسنِ الْمَرْوَزِيُّ: سألتُ سفيانَ بْنَ عُيَيْنَةَ عَنْ هذا فقُلْتُ لَهُ: هذا ثناءٌ، وليس بدُعاء، فَقَالَ أما بلغك حديثُ منصور، عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ فَوْقَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ»[1].

- وصَحَّ عن النبيِّ ﷺ أدعية أخرى لتفريج الكرب؛ منها ما رواه أبو داود، وصححه ابن حِبَّانَ من حديث أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، ومنها أيضًا ما رواه أصحاب السنن إلا الترمذيَّ من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ: «اللَّهُ، اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

٣- مايرشد إليه الحديث:

١- حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢- من آداب الذكر والدعاء: الثناء على اللَّه عز وجل بما هو أهله.

٣- عَظَمَةُ اللَّه تعالى تَدُلُّ عَلَى تَمَامِ قدرته، وتمكن سلطانه.

٤- أفضل الذكر: لا إله إلا اللَّه.

٥- الالتجاء إلى اللَّه تعالى في العسر واليسر، والشدة والرخاء.

* * *

(١) أخرجه الخطابي في «غريب الحديث»: (١ / ٧٠٩)، بسند منقطع، ولكن الحديث حسن لغيره بمجموع طرقه.



الأسئلة

١ـ بين معاني الكلمات الآتية:

(الكَرْب ـ العَظِيمُ ـ الحَلِيمُ).

٢ـ ما إعراب «العَظِيم» في قوله ﷺ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ»؟

٣ـ كيف تُجيبُ على من يقول: هذا ذِكْرٌ، وليس دعاء؟

٤ـ اذكر بعض الأدعية النبوية لتفريج الكروب.

٥ـ اشرح الحديث بأسلوبك شرحًا أدبيًّا موجزًا.

٦ـ اذكر ما يُرشد إليه الحديث.

❊ ❊ ❊



الحديث الثلاثون
أحب الكلام إلى الرَّحْمَن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ».

معاني المفردات:

«كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ»: يُراد محبوبية قائلهما.

«خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ»: للين حروفهما، وسهولة خروجهما، فالنطق بهما سريع، وذلك؛ لأنه ليس فيهما من حروف الشدة المعروفة عند أهل العربية، وقد اجتمعت فيهما حروف اللين الثلاثة «الألف، والواو، والياء»، وبالجملة فالحروف السهلة الخفيفة فيها أكثر من العكس.

«ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ»: حقيقة؛ لكثرة الأجور المدَّخَرة لقائلهما، والحسنات المضاعفة للذاكر بهما، فالموزون الكلمات نفسها؛ لأن الأعمال تُجَسَّم، وقيل: صحائفها.

«سُبْحَانَ اللَّهِ»: معناه: تنـزيه اللَّه ـ تعالى ـ عما لا يليق به من كل نقص.

«وَبِحَمْدِهِ»: وبمعونتك التي هي نعمة توجب عليَّ حمدك، سَبَّحْتُكَ لا بِحَوْلِي ولا قُوَّتِي.

المباحث العربية:

«كَلِمَتَان»: خبر مقدم، وما بعده صفة، أي: كلامان، فهو من باب إطلاق الكلمة على الكلام، ككلمة الشهادة، والمبتدأ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ»؛ لأنهما، وإنْ كانا منصوبين على الحكاية، فهما في محل رفع.

وقَدَّمَ ﷺ الخبرَ؛ ليشوق السامع إلى المبتدأ، فيكون أوقع في النفس، وأدْخَل في القبول؛ لأن الحاصل بعد الطلب أعزّ من المـُنْسَاق بلا تعب.

ورجَّحَ بعضهم كون: «سُبْحَانَ اللَّهِ...» هو الخبر؛ لأَنَّه مُؤَخَّر لَفظًا، والأصل عدم مخالفة اللفظ محله إلَّا لُموجِبٍ يُوجِبُهُ؛ ولأَنَّه مَحَطٌّ للفائدة بنفسه بخلاف: «كَلِمَتَانِ»، فإنَّه إنَّما يكون محطًا للفائدة باعتبار وصفه بالخفة على اللسان، والثقل في الميزان، والمحبة للرحمن، لا باعتبار ذاته، بل بملاحظة وَصْفِهِ بما ذُكِرَ، فكان اعتبار «سُبْحَانَ اللَّهِ...» خبرًا أولى، وهو من قَبِيلِ الخبر المنفرد بلا تعدد؛ لأنَّ كُلًّا من «سبحان الله» مع عامله المحذوف الأول، والثاني مع عامله الثاني، إنما أريد لفظه، والجملة المتعددة إذا أريد لفظها فهي من قبيل المفرد الجامد، ولذا لا تتحمل ضميرًا.

وقد يُقال: بل الأولى كون «سُبْحَانَ اللَّهِ...» هو المبتدأ؛ لأنه معلوم، و«كَلِمَتَانِ» باعتبار وصفه بما ذُكِرَ هو الخبر لأنه مجهول؛ والقاعدة: أَنَّه إذا اجتمع معلوم ومجهول، يُجْعَل المعلوم مبتدأ، والمجهولُ خَبَرًا.

«حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ»: تثنية حبيبة بمعنى: محبوبة، و«فَعِيلٌ» إذا كان بمعنى «مَفْعُول» يستوي فيه المذكر، والمؤنث، إذا ذكر الموصوف، نحو: رجل قتيل، وامرأة قتيل؛ فإن لم يُذْكَر الموصوف فُرِّقَ بينهما، نحو: قتيل، وقتيلة، وحينئذ فوجه التحاق علامة التأنيث هنا: أنَّ التسوية جائزة لا واجبة، ومناسبته للخفيفة والثقيلة؛ لأنهما بمعنى الفاعل، لا المفعول. وقيل: هذه التاء لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية.



«خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ»: فيه استعارة حيث شَبَّهَ سهولة جريانهما على اللسان بخفة المحمول من الأمتعة، واشتق من ذلك «خَفِيفَتَانِ» بمعنى سهلتي الجري على اللسان؛ لقلة حروفهما، ورشاقتهما.

«فِي المِيزَانِ»: هو الذي يوزن به في القيامة أعمال العباد، والأصح أنه جسم محسوس ذو لسان وكفتين،وفي كيفيته أقوال، وفي هذا الجزء من الحديث من علم البديع المقابلة والموزانة في السجع؛لأنه قابل الخفة على اللسان بالثقل في الميزان، وقال حبيبتان إلى الرحمن ولم يقل إلى الرّحيم لأجل الموزانة بقوله على اللسان.

«حَبِيبَتَانِ» و«خَفِيفَتَانِ» و«ثَقِيلَتَانِ»: صفات لقوله «كَلِمَتَانِ».

«سُبْحَانَ اللَّهِ»: اسم مصدر لسبّح بالتشديد، وقياس مصدر فعل المشدد إذا كان صحيح اللام التفعيل، أي: سَبَّحَ: تَسْبِيحًا، كالتسليم، والتكريم، وقيل: مصدر؛ لأنه سُمِعَ له فعل ثلاثي، وهو من الأسماء الملازمة للإضافة، وقد يُفْرَد؛ فإذا أُفْرِدَ مُنِعَ من الصَّرْف؛ للتعريف، وزيادة الألف والنّون، وجاء منونًا، فقيل: صُرِفَ ضرورةً، وقيل: هو بمنزلة: «قَبْل»، و«بَعْد»، إن نوى تعريفه بقي على حاله، وإن نُكِّر أُعرب مُنصرفًا، وهو لازم النصب بفعلٍ مُقَدَّر، لايجوز إظهاره، وإضافته إلى المفعول أي: «سَبَّحْتُ اللهَ»، ويجوز أنْ يكون مضافًا إلى الفاعل، أي: نَزَّهَ نَفْسَهُ، وإضافته إلى المفعول هو المشهور.

«وَبِحَمْدِهِ»: قيل: الواو زائدة فهو مع سبحان اللَّه جملة واحدة. وقيل: عاطفة، أي: «وَبِحَمْدِهِ سَبَّحْتُهُ» فذلك جملتان. وقيل: للحال، أي: «أسبحه مُتَلَبِّسًا بحمدي له؛ من أجل توفيقه لي للتسبيح ونحوه».



والباء في قوله «بِحَمْدِهِ» للملابسة، والحمد مضاف للمفعول، أي: متلبسًا بحمدي له. وقيل: للاستعانة، والحمد مضاف للفاعل، أي: أسبحه بحمده. وقيل: للسببية، أي: أسبح اللَّه، وأثني عليه بحمده.

«سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ»: ليجمع بين مقامي الرجاء، والخوف؛ إذ معنى «الرَّحْمَن» يرجع إلى الإنعام، والإحسان، فيقتضي الرجاء، و«العَظِيمِ» يقتضي الخوف من هيبته تعالى.

الشرح والبيان:

وفيه ما يلي:

١ـ معنى قوله: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن).

٢ـ فضل الذِّكْر.

٣ـ سر ختم البخاري جامعه الصحيح بهذا الحديث.

٤ـ ما يرشد إليه الحديث.

١ـ معنى قوله كلمتان حبيبتان إلى الرحمن.

ـ أراد النبي ﷺ بقوله: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ» أنَّ قائلهما محبوب لله تعالى ومحبة اللَّه تعالى لعبده: إيصال الخير له وتكريمه، وخَصّ اسم الرحمن دون غيره من أسماء اللَّه الحسنى؛ لأنَّ كُلَّ اسم منها إنما يُذْكَر في المكان اللائق به، كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[1]، ولـمَّا كان جزاء من يُسبح بحمده ـ تعالى ـ الرحمة ذُكِرَ في سياقها الاسم المناسب لذلك، وهو الرحمن ـ جلَّ جلاله ـ.

---

(١) سورة نوح. الآية: ١٠.

ـ كرّر ﷺ التسبيح دون التحميد في قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ»، اعتناء بشأن التسبيح؛ لكثرة المخالفين فيه.

ـ ورد التسبيح، والتحميد على أنواع شتى؛ ففي صحيح مسلم عن سمُرة مرفوعًا: «أَفْضَلُ الْكَلَامِ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» أي: هي أفضل الذكر بعد القرآن، ولذلك كانت غراس الجنة، وفي الترمذي أنَّه ﷺ قال: «التَّسْبِيحُ نِصْفُ المِيزَانِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ يَمْلَؤُهُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ حَتَّى تَخْلُصَ إِلَيْهِ»، وهذا يَحْتَمِل أنْ يُرَادَ به التسوية بين التسبيح، والتحميد في أنَّ كُلًّا منهما يأخذ نصف الميزان، فيملآن الميزان معًا، وأَنْ يُراد به تفضيل الحمد على التسبيح، وأنَّه وحده يملأ الميزان؛ لأن التسبيح دلَّ على التنـزيه، والتحميد دلَّ عليه، وعلى الحمد معًا؛ إذ لا يستحق الحمد المطلق إلَّا مَنْ كان مُبَرءًا عن النقائص.

٢ـ فضل الذِّكْر:

ـ ومما يدل على فضيلة هذا الذكر ما ورد في صحيح الإمام مسلم، عَنْ جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟». قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» وظاهره: حصول



ذلك لمن قالها متوالية، أو متفرقة، في مجلس، أو مجالس، في أول النهار، وآخره، لكن الأفضل أن تكون متوالية، والظاهر أن هذه الفضائل الواردة في التسبيح، ونحوه تحصل لكل ذاكر، وإن لم يكن من أهل الدين والصلاح؛ لأن فضل اللَّه تعالى واسع.

وبَيَّن ﷺ أنَّ هذا الذكر هو غرس الجنة، كما جاء في «جامع الترمذي» عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ».

- جاء ترتيب هذا الحديث على أسلوب عظيم، وهو أنَّ حُبَّ الرّبِّ سَابقٌ، وذكر العبد، وخفة الذكر على لسانه تالٍ، ثم بَيَّنَ ما فيهما من الثواب العظيم النافع يوم القيامة.

٣ـ سر ختم البخاري جامعه الصحيح بهذا الحديث:

- وختم الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ «صحيحه» بهذا الحديث المشتمل على الحمد بعد التسبيح؛ لأنه آخر دعوى أهل الجنة، قال اللَّه تعالى:

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

فأهل الجنة إذا دخلوا الجنة، وعاينوا عظمة اللَّه تعالى وكبرياءه مَجَّدُوهُ، ونعتوه بنعوت الجَلَال، ثم حيَّاهم الملائكة بالسلامة من الآفات، والفوز بأصناف الكرامات، فحمدوه وأَثْنَوا عليه بصفات الإكرام.

---

(١) سورة يونس. الآية: ١٠.

والظاهر أنْ يُضَافَ السلام إلى اللَّه ـ تعالى ـ إكرامًا لأهل الجنة كما يدل له قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾[1]، أي: يُسَلِّمُ عليهم بغير واسطة، مبالغة في تعظيمهم وإكرامهم، ويدل له أيضًا ما رواه ابن ماجه عن جابرٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾[2]، قَالَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ، مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ، وَيَبْقَى نُورُهُ».

٤ـ ما يُرشد إليه الحديث:

١ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته.

٢ـ الحث على إدامة الذكر باللفظ المذكور لمحبة الرحمن له وخفته بالنسبة لما يتعلق بالعمل وثقله بالنسبة لإظهار الثواب.

٣ـ السجع جائز، والمَنْهِيُّ عنه ما كان فيه كُلفة.

٤ـ إيراد الحكم المرغوب في فعله بلفظ الخبر؛ لأن المقصود من الحديث الأمر بملازمة الذكر.

٥ـ الإشارة إلى امتثال قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾[3].

***

(١) سورة يس. الآية: ٥٨.
(٢) سورة يس. الآية: ٥٨.
(٣) سورة طه. الآية: ١٣٠.



الأسئلة

١ـ اذكر معاني المفردات الآتية:

(خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ـ فِي المِيزَانِ ـ سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ).

٢ـ ما المقصود من قوله ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ»؟

٣ـ لِمَ خصَّ النبيُّ ﷺ اسم «الرَّحْمَن» بالذكر؟

٤ـ ما معنى قوله ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»؟

٥ـ لماذا قدّم ﷺ التسبيح على التحميد في هذا الحديث؟

٦ـ لماذا ختم ﷺ بقوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ»؟

٧ـ ما نوع الباء في قوله ﷺ: «بِحَمْدِهِ»؟

٨ـ اشرح الحديث بأسلوبك شرحًا أدبيًّا مُوجَزًا.

٩ـ اذكر ما يُرشد إليه الحديث.

❊ ❊ ❊

قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات